ندوة العلماء لكهنؤ

البَعْث الإسلامي

شعارنا الوحيد :

إلى الاسلام من جديد

تصدر : فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المجلد الثامن عشر — العدد الثانى

شعبان ١٣٩٣هـ
سبتمبر ١٩٧٣م

Phone 22948 Regd. No. L. 1892
ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

إذا هبت ريح الايمان

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

صفحة رائعة من البطولات الاسلامية للسيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد و أصحابه فى الهند و قصة جديدة لم ترو فصولها للعالم العربى ، أزيح فيها الستار عن أروع محاولة لاعادة الحياة الاسلامية و المجتمع الاسلامى فى هذه البلاد فى القرون الأخيرة ، تمثلت فيها روائع من الصدق و الاخلاص و التضحية و الايثار ، و البطولة النادرة و الهمة العالية ، و الخضوع لحكم الله وسنة رسول الله ، يتجمل بها تاريخ الاسلام العام ، و يعتز بها الشعب المسلم فى هذه البلاد .

كتاب لكل شاب مسلم يتمنى عودة الاسلام ، ومجد الاسلام ويبحث فى شروطه و صفاته ، و مناهجه و وسائله فلا يجد إليها سبيلا .

٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

الثمن ٦ ريالات أو ما يعادلها .

الناشر : دار عرفات للبحث و الترجمة و النشر .

العنوان : ٣٧ گوثن روڈ لكهنؤ (الهند)

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

جيل مؤمن مجاهد

إذا هبت ريح الايمان جاءت بالأعاجيب فى العقيدة ، والأعمال ، والأخلاق ، و رأى الناس روائع من الشجاعة و اليقين ، والعفة والأمانة . والايثار وإنكار الذات ، و روح التطوع و الاحتساب ، و التواضع فى المظاهر ، وكبر النفس و سمو النظر ، و رأوا آيات من العدل و الرحمة ، والمحبة والوفاء كادوا ينسونها و يقطعون منها الرجاء .

وقد هبت هذه الريح المباركة فى الهند فى فجر القرن الثالث عشر الهجرى ، يوم قام الامام السيد أحمد الشهيد وأصحابه بدعوة التوحيد ، والتجديد والجهاد ، فتجددت ذكريات القرون الأولى .

و هو السيد أحمد بن السيد عرفان الحسنى المولود فى « رائى بريلى » عام ١٢٠١هـ ، ودعا إلى الدين الخالص ، وأشعل فى القلوب شعلة الايمان ، والحماسة الاسلامية ، و الجهاد فى سبيل الله ، ونظم جماعة كبيرة ، وأحسن تربيتها الدينية و الحربية ، و هاجر معها من طريق بلوجستان ، و أفغانستان إلى حدود الهند الشمالية ، و اتخذها مركزاً لدعوته ، ليتقدم منها إلى الهند لاجلاء الانجليز ، و تأسيس دولة إسلامية على منهاج الكتاب و السنة .

و من خصائص هذه الجماعة التى تلفت النظر ، أنها كانت تجمع بين جهاد النفس و جهاد العدو ، و بين السيف و المصحف و العقل و العاطفة ، و بين التسبيح فى المسجد والبيت فى ظلام الليل ، والتكبير فى ساحة الجهاد على صهوات الخيل ، وذلك بفضل التربية الدقيقة التى أخذ بها قائدها ومربيها ، والوعى الدينى الصحيح الذى نضج ورسخ ، واستوعب الحياة كلها ، وبسبب أنها لم تمر بمرحلة التربية الدينية مراً عابراً سريعاً . ولم تخض المعركة من غير استعداد ، بل أخذت الأمور بنصابها ، و أتت البيوت من أبوابها ، و ذلك هو المثل الكامل لجيل مؤمن مجاهد ، و النموذج الرائع للربانية الصحيحة المطلوبة فى كل عصر .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

البعث الإسلامي

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الاعظمي

★ العدد الثانى ★ المجلد الثامن عشر ■ شعبان ١٣٩٣هـ ■ سبتمبر ١٩٧٣م

أخى المسلم

أخى فى العقيدة و الدين لا فى التراب و الطين ، أخى على درب الايمان و الجهاد ، و طريق الشوك و القتاد ، أخى فى النضال و الكفاح و التضحية و الفداء ، أخى فى الحق و الصبر فى الوطن والمهجر ، أخى فى مهبط الوحى ومنبع الصبح الصادق فى ليل الانسانية الغاسق ، أخى فى زهرة الصحراء ودرة الخليج بين الرياح العاتية و الأمواج الثائرة ، أخى فى اليأس والرجاء والشدة والرخاء ، أخى فى الله ! نقدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك فى وجه الباطل ، زاداً لك فى طريق الايمان ، عوناً لك على نوائب الحق ، نصيراً لك فى صراع النور والظلام ومعركة الجاهلية و الاسلام ، فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس للأمانة أكثر من دور مشترك رسمى فى مجلة ، أو زبون فى محل تجارة . . !

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته وتقدمه نهر عذب جار ، وبينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر و حارس للأمانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لايعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لايعرف الجمود .

الفهرس

خطة تترقب من ينفذها	٣
	سعيد الأعظمي الندوي
التوجيه الإسلامي	
قصة آدم مدرسة ربانية	فضيلة الشيخ الأستاذ عبد العزيز المعلى المطوع ١٠
دور الاسلام فى انهاض المجتمعات الاسلامية	الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى ١٨
الاسلام فى أوربا ، طبيعة المشكلة	الدكتور خورشيد أحمد ٢٧
الدعوة الإسلامية	
نحو الصراط المستقيم	فضيلة الشيخ عبد الرحمن بحمد الدوسرى ٣٤
الاهتمام باختيار وسائل القتال	الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله ٤١
لمحات من حياة الامام صلاح الدين الأيوبى	فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف ٥٠
دراسات وأبحاث	
شيخ الاسلام ابن تيمية فى محبسه	الاستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى ٥٧
الطلاق ، لماذا يجعله الاسلام حق الرجل	الاستاذ السيد أحمد القادرى ٦٩
في رياض الشعر والأدب	
طبيعة الشاعر وشاعر الطبيعة	الأستاذ واضح رشيد الندوى ٧٨
العالم الإسلامي	
نظرة عامة فى جولة إيران	الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى ٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة تترقب من ينفذها

يعتبر القرن العشرون فترة ذات أهمية بالغة فى تاريخ الحضارات الانسانية، فقد قطعت الحضارة الغربية فى هذا القرن شوطاً بعيداً ، من التقدم المادى فى مجالات العلم والصناعة و الابداع، وبلغت من الرقى واستخدام القوى الكونية أوجها ، حيث انبهرت العقول و خضعت أمام سلطانها المادى و التكنالوجى ، و اعترفت أوساط البشر على اختلافها بتفوقها العظيم فى تفجير طاقات الكون و وضعها فى صالح الانسان ، و لاغرو فقد أضفت هذه الحضارة على المجتمعات الانسانية قداسة العلم و الصناعة ، و منحتها سرعة البرق التى هى نعمة للحياة ، و بفضل هذه النعمة تتوافر كثير من الفوائد ، و تتم كثير من الأعمال والمنجزات، وتتحقق كثير من المخططات والمشاريع فى أقصر وقت و أقل جهد .

تمتع الانسان المعاصر من معطيات الحضارة الغربية و من كل ما أفاضت عليه فى مجال ترفيه الحياة و تسهيلها ، وجنى من ثمارها اليانعة فى مجال العلوم و الصناعة و الاكتشافات المادية ، فكان ذلك حافزاً كبيراً على تحضر الانسان و خروجه من حياة البدو و الانطواء على النفس و من علة الخمول إلى حياة كلها نشاط و روح و قوة ، كما كان باعثاً له على نفى الأوهام و الظنون من النفوس التى كانت صخرة ثقيلة فى طريقه تحول دون كل طموح ، و تثبط كل همة ، و تجعل منه فرداً ضائعاً من أبناء جنسه ، و عضواً أشل فى أسرته ومحيطه .

إن فضل هذه الحضارة على الانسان فى المجال المادى معلوم لا ينكره أحد فى أى حال ، فمما لا يخفى على المطلع الخبير أن الحضارة الغربية تمكنت من التوصل إلى حقائق و أسرار من العلم (Science) لم تكن الحضارات السابقة قد أدركتها ، و قامت باستخدام القوى و الطاقات التى أودعها الله سبحانه فى الكون ، و بصوغها فى قالب من الابداعات الصناعية و الاكتشافات التكنالوجية التى أحدثت ثورة فى عالم المادة ، وكشفت القناع عن وجه العبقرية التى كان قد أودعها الله فى الانسان ، إن هذه الحضارة هيأت قدراً كبيراً من الوسائل السريعة والأسباب القوية فى حياة الانسان ، و جعلته من القدرة والتمكن بحيث لايحتاج فيه إلى إنجاز أضخم مشروع و أجل عمل إلا إلى التوفيق الالهى فحسب ، أما من الناحية المادية فهو غنى كل الغنى عن أى مساعدة تنقصه فى سيره الحثيث ، وعن أى وسيلة تعوزه فى خطواته الواسعة نحو الهدف .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فان هذه الحضارة عاشت فى جو مظلم من الانحراف حيث لم تحظ بنعمة الايمان ، و لم تعرف الوجهة الصحيحة للغاية التى أسست من أجلها ، إنها ظلت طوال فترة حياتها بعيدة عن كل ما يربطها بهدفها الذى ينفخ فيها سر الخلود و روح الايمان بالله ، وذلك لأن القائمين عليها إنما كانوا متجردين عن هذه المعانى ، كانوا لا يتحلون بحلية الايمان و لا يعرفون للفضائل قيمة ، و لا يدركون للسعادة البشرية من معنى ، إنهم لم يحاولوا قط — بحكم حرمانهم نعمة القلب المؤمن — أن يذيقوا حضارتهم حلاوة الايمان واليقين ، وأن يضفوا عليها معانى الفضائل و السمو الروحى ، إن هذه الخاطرة الايمانية لم تجد سبيلا

إلى تفكيرهم أو ربما خطرت فى أذهانهم ولكنهم لم يرضوا بها لحاجة فى نفوسهم ، و داء تنطوى عليه صدورهم .

و من الحقائق التاريخية أن الحضارة الغربية التى أقيمت فى الغرب و على يد أبنائه إنما كانت حضارة معادية للحضارة الاسلامية ، و أول هدف استهدفه رجالها هو لقاؤها مع حضارة الاسلام كمنافس لها ومهاجم عليها ، وكان الغرض الأساسى هو تغليب الغرب على الشرق ، أو إعلاء المسيحة على الاسلام كما يعبر عنه البعض ، ومن هنا كانت الحضارة الغربية أكبر مؤامرة ضد الاسلام نسجت فى أرض الغرب للنيل من غلبة الاسلام و تقليل شأنه فى عيون الناس ، وتفنيد نظرته إلى الكون والانسان والحياة ، و لم تكتف رجالها بنشر حضارتهم ودعوة الناس إليها بل إنهم قاموا بتشويه وجه الاسلام وهدم شريعته مقنعين بستار غليظ من النصح حيناً ، ومرتدين لباس الاستشراق حيناً آخر .

نجحت هذه الحضارة فى تضليل كثير من المسلمين المثقفين بالثقافة الغربية و صرفتهم عن حضارتهم و صدتهم عن طريق الاسلام ، و لقد كان ذلك طبعياً لأن المسلمين الذين تثقفوا بثقافة الغرب و تشربوا آراءه ونظرياته كيف يؤمنون بطراوة الحضارة الاسلامية ، ويرفضون الحضارة الغربية على ما فيها من الاغرامات و الجوانب اللاعة مما ليس فى حضارة الاسلام ، إن ذلك كان أول مكسب خطير من مكاسب هذه الحضارة ، وجد لها أنصار ودعاة يتحمسون من المسلمين أنفسهم .

إن هذه الحضارة على جميع ما تحقق لها من مكاسب فى مجال الصناعة والعلم والتكنالوجيا ، وفى كسب الرجال والأنصار من طبقات المسلمين ومجتمعاتهم ، عاشت دائماً على فوهة بركان من الأخلاق والفضائل و الدين ، وسوف لاتمتد

فترة أخرى حتى ينفجر البركان و يأتى على جميع الرذائل و السوءات التى فشت فيها ، و هنالك تنتهى من أصلها و لا يبقى لها من الآثار و المنجزات إلا العلم و الصناعـــة ، و التقدم التكنولوجى ، الأمور التى ليست ملك حضارة خاصة و لا بلد خاص ولا أمة أو شعب ، إنها من النعم التى خلقها الله تعالى لخدمة الانسان ، و قيض الانسان نفسه للبحث عن طاقات الكون المخبوءة وتفجيرها فى صالح الانسانية ، إذن فهذه الابداعات المادية و الطاقات الكونية ليست ملك أحد من الناس ، إنما هى نعم مشاعة ، و ملك مشترك ، فلا يصح أن يقال إن حضارة الغرب لها من الصناعة والعلم والطاقة و الابداع ما ليس لحضارة الاسلام بل الحق أن هذه الأشياء كلها لحضارة الاسلام شأنها لحضارة الغرب أو اليونان و الرومان .

فما الفـــارق إذن بين الحضارتين ، ما الذى يفضل حضارة الاسلام على حضارة الغرب ؟

إن الفارق بين هاتين الحضارتين إنما هو الايمان ، الايمان بالله ورسوله ، الايمان الذى يحلى صاحبه بالفضائل الخلقية و يربى فيه عواطف التضحية والفداء و دوافع الجهاد و الشهادة فى سبيل الله ، و لكن الغرب لا يضغط على هـــذه الجوانب المهمة ولا يعتنى بأى فضيلة وبطولة ، إنما يهمه الرصيد الكافى من المال والمادة مما يملأ به بطنه إذا جاع ، ويكسو به جسمه إذا مست إلى ذلك حاجة ، و يوفر رصيده فى البنك إذا أراد ، أما الفضائل و المكارم ، أما العناية بتربية الروح و تنمية العواطف الخلقية فليست عنده أى فكرة عن هذا و لا ذاك .

إن ممثلى هذه الحضارة — و هم فى نشوة المخترعات والصناعات — تعدوا

حدود كل شئ مما يمتاز به الانسان عن غيره من المخلوقات ، إنهم خرقوا كل قوانين الأخلاق و القيم و المثل العليا ، و تعروا عن لباس الانسانية على قارعة الطريق ، و لم تعد رذيلة من الرذائل إلا و قد تلوثوا بها ، و لا فضيحة من الفضائح إلا و ارتكبوها ، إن حياتهم أضحت علامة للجرائم الخلقية و عاراً على البشرية ، وقد أصبح العالم اليوم يسمع قصة هذه المخازى والفضائح على المستوى الحكومى ، عدا ما تنشره وكالات الأنباء العالمية من حكايات الجرائم الانسانية التى تقشعر منها الجلود على المستوى الشعبى .

هذه الحضارة تسبح اليوم فى أو حال الرذائل وتهيم على وجهها فى متاهات السآمة و الملل ، و هى على جميع ما تنمى إلى نفسها من علم وصناعة و تقدم ، تعيش فى جهل وظلام ونكسة . ولايجنى أتباعها إلا ثماراً مرة من القلق والحيرة والفوضى الخلقية ، وهم فى صراع نفسى عنيف ، تصارعهم أفكار فاسدة وأوهام كاسدة ، و تطاردهم أشباح من الجنون و الأرق و أشكال من الخوف و الذعر و الحزن ، وهم فى هذا الصراع يجرون من هنا إلى هناك ويسعون للتخلص من هذه الأشباح و الأشكال و لكن دون جدوى .

هـذه هى صورة الغرب المتقدم اليوم ، إنه فى زهوه و خيلائه نسى أن للروح والضمير والوجدان قيمة وزعم أنها كلمات فارغة اصطلح عليها « الرجعيون » من أهل الدين الذين يحاولون أن يرجعوا بالعالم المتمدن إلى عصر الظلام والهمجية ، ويعودوا بالانسان المتحضر إلى البداوة والوحشية الماضية ، ولكنه مع الأسف نسى أن أوربا وما على شاكلتها إنما تسفلت إلى آخر درك من الوحشية والجنون وخرجت بأهلها إلى صف البهائم والأنعام حيث خلعوا لباس الزينة والاحتشام ،

و أقاموا مآسى و مهازل إنسانية تستحي منها الحيوانات فضلا عن الانسان .

أوربا اليوم باحثة عن الهدوء النفسى ، إنها تتطلع إلى طمأنينة القلب وراحة الضمير إلى نفس الحقائق التى يعتبرها زعماء أوربا مصطلحات الرجعيين وكلمات المتدينين ، و مهما غنيت حضارة الغرب بالوسائل و المخترعات المادية و زخرت أسواقه بالكماليات و أدوات الزينة و لكن قلوب رجاله جوفاء فارغة عن كل معنى من معانى الزينة و الفضيلة ، و لذلك فانهم رغم الترف و الرفاهية وكثرة الأموال و الموارد لا ينفكون يبحثون عن نعمة الهدوء ، و الطمأنينة والسكينة ، و لكن أنى لهم هذه النعمة التى ليست إلا ميزة الاسلام و حضارته .

إنها فرصة سانحة لدعاة الاسلام وممثلى الحضارة الاسلامية يجب أن ينتهزوها لعرض حضارتهم على هؤلاء الباحثين البائسين ، على من يتطلعون إلى حضارة تنقذهم من آلامهم وهمومهم التى تهيمن عليهم ، وتأخذ بأيديهم من عذاب القلق و الحيرة إلى بر الأمن و السلام و من شقاء المادة إلى سعادة الروح ، و من تعاسة النفس إلى راحة الضمير ، و قد صدق عليهم قول الله سبحانه و تعالى « و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » فعسى أن يرجعوا إلى الطبيعة الحقة ، إلى رصيد الفطرة ، و إلى رحاب الايمان ، و يعودوا إلى منابع العز و الخير و الحنان .

و لكن ذلك يتطلب نموذجاً عملياً للحضارة الاسلامية ماثلا أمام الأعين بحيث يستلفت الأنظار و يستهوى القلوب ، فلا بد من إيجاد مجتمع مثالى يمثل هذه الحضارة و مثل هذا المجتمع ضرور أكيدة لتحقيق هذا الحلم و تنفيذ هذه الخطة العظيمة .

(البقية على ص ١٠٨)

التوجيه الإسلامي

■ قصة آدم مدرسة ربانية
■ دور الاسلام فى إنهاض المجتمعات الاسلامية
■ الاسلام فى أوربا : طبيعة المشكلة

قصة آدم مدرسة ربانية

فضيلة الشيخ الأستاذ عبد العزيز العلى المطوع

[زودنا فضيلة الشيخ الأستاذ عبد العزيز العلى المطوع بخطرات و تأملات فى القرآن الكريم ، و نعد القراء الكرام بمتابعة النشر من الفاتحة إلى سورة البقرة باذن الله ، راجياً من الله العلى أن يرزقها القبول «التحرير»]

(و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ، و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين ، و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين ،

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون) الآيات ٣٠ إلى ٣٨ من سورة البقرة .

الانسان وعاء العلم :

فيما يلى من قصة آدم ما يصور فضل الانسان على الملائكة الكرام و على سائر المخلوقات حين يسلك جادة الايمان و طريق الحق ويحتمل عبء المسئولية بالعلم و الادراك ، كما يصور فضل العلم ، و البحث عنه والتطور معه والانتفاع به وتسخيره لنفع البشر مما استحق الانسان به الاستخلاف فى الأرض واستعمارها وتسخير ما فيها وما حولها لمصلحته ، قال جل شأنه : (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السماوات و ما فى الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة) وفى قصة آدم و الملائكة و الحكم فيها لمصلحة الانسان و قابليته للعلم و التزود به فى كل يوم تأييد لفضل العلم ، و مما جاء عن خاتم رسل الله (ﷺ) فى مثل ذلك (من تساوى يوماه فهو مغبون) ويقول أيضاً (ﷺ) : إذا طلع على يوم لا ازداد فيه علماً يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم) و يقول (ﷺ) : (إنما بعثت معلماً) و فى الأثر عنه (ﷺ) : (اطلبوا العلم و لو كان فى الصين) و فى الأثر أيضاً : (تناصحوا فى العلم و لا تخونوا فيه فان خيانة فى العلم أشد من خيانة فى المال) و مما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال (كونوا أوعية القرآن و ينابيع العلم) .

فضل العلوم النافعة :

فضل الله العلم على العبادة وحدها يرده على الملائكة فى قصة آدم و قوله

سبحانه : (إنى أعلم ما لا تعلمون) إنه سبحانه غالب على أمره لاراد لحكمه منفذ لارادته فى سابق علمه (علم آدم الأسماء كلها) ومنها أسماء العناصر الكونية و المفاتيح العلمية — و الكل يشمل الجزء — ليستخدم آدم مواهبه التى اختصه الله بها دون ملائكته فى معرفة أسرار الكون و مكنونات العلم بينما الملائكة الكرام يعيشون كخزائن لما منحهم الله به من معلومات دون زيادة أونقصان ، أما الانسان فقد خلق فطرياً ينمو علمه مع الزمن كلما جد وكافح : (و قل رب زدنى علماً) وعندما عرض الله سبحانه هذه الأسماء التى علمها لآدم على الملائكة الكرام أيضاً — طلب إليهم أن ينبئوه بنتيجة ما سمعوا منه ، فكان جوابهم كما جاء فى الآية ٣٢ من سورة البقرة : (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فوجه سبحانه القول إلى آدم كما فى الآية ٣٣ : (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) عند ذلك ذكر سبحانه ملائكته بما سبق أن قاله عند غيرتهم على طاعته قبل خلق آدم كما فى بقية الآية ٣٣ : (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون) و فيما يسأل سبحانه ملائكته و فى جوابهم لعظمة جلاله و فى سؤال الله آدم وجوابه على السؤال و فيما وجهه الله سبحانه بعد ذلك لملائكته و فيما أنبأ آدم الملائكة به — فى كل هذا ما يحمل على الايمان بفضل العلم و عظيم أثره و تقدير رسالته وكسب آدم قصب السبق فيه .

و لم تكن تصريحات الملائكة — إعتراضاً على إرادة الله بل تنفيذاً لأمر ربهم (فى حدود علمهم) وغيرة على طاعة الله حين يخلق خلقاً عاقلا مسئولا ثم ينسى الواجب و يجافى مسئوليته و تعقله ويقترف عصيان الله العظيم بالافساد

فى الأرض وسفك الدماء ، بينما حرى به أن يعرف عظمة الخلاق و جلاله فيقوم بتسبيحه و تقديسه كما تفعل ملائكته الكرام على أن ما يبرر اتجاه الملائكة أن لدى المستخلف الجديد فى الأرض قابلية الايمان والكفر و هو مصداق قوله سبحانه : (هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و الله بما تعملون بصير) و قوله جلت عظمته :

(هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره) والخليفة جمعها خلفاء و خلائف على وزن كرماء و كرائم ، والملآئكة تحب ألا يستخلف الله فى هذه الأرض إلا من يقدر الله حق قدره و يستعمل علمه و مواهبه فى طاعته جل شأنه ، ولكن إرادة الله سبحانه اقتضت خلق هذا الانسان على مافيه من جوانب التعارض و تيارات التباين يجمع بين الغرائز الحيوانية و المواهب السامية ، كل ذلك من أجل العلم الذى اختص الله به هذا الانسان ليعبد الله عن طريق التأمل فى آيات الكون كقوله سبحانه : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وهنا حق على الملآئكة أن تضع أجنحتها اعترافاً بفضل العلم وإكباراً لشأن العلماء و قد أمرهم الله سبحانه بذلك فى الآية ٣٤ : (و إذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وفى باقى الآية (إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) .

قصة آدم دستور للبشر :

وفى مجئ قصة آدم أبى البشر بعد الآيتين ٢٨ و ٢٩ - من سورة البقرة - دليل على ارتباط المواهب الانسانية بالعلم و تطوراته ، و فى القصة أيضاً صورة

لبنيه من بعده فيما يحتاجون إليـــه و ما يحتمل أن يقعوا به أو يعترض مسيرة حياتهم ، كما أن بها حلا لكل مشكلة من مشاكلهم و كأن أحداث آدم وحواء فى الجنة تجربة وتهيأ و علاج لما سيحدث لهم و لذريتهم فى الأرض ، و يظهر من الآية ٣٠ أن الله سبحانه أطلع ملائكته الكرام على أنه جاعل فى الأرض خليفة مما يدل على أنه خلف لسلف قـــد أفسد فى الأرض وسفك الدماء بدليل قول الملآئكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك و نقدس لك ؟) و لكن الله سبحانه يعلم مقام هذا المخلوق الطينى حين يجمع بين الايمان و العلم و العمل الصالح و يكون بذلك قد أدى الأمانة وفاق ـ بالمكانة ـ الملآئكة الكرام ، ومثل هـذا من شأنه أن يحول بين بنى الانسان و بين سفك دماء بعضهم بعضاً لمجرد السفك و الافساد فاذا ألجئوا إلى الجهاد كان فى سبيل الله و إعلاء كلمته و دفاعاً عن النفس و المقـــدسات و ضرباً على أيدى المعتدين إبقاء على الأصلح و هى سنن كونية تتطلب قيادة حكيمة و جندية مؤمنة تتكون منهما مجموعة صالحة متعاونة على البر والتقوى ، متواصية على الحق و الصبر ، جديرة بما وعـــد الله عباده الصالحين بالاستخلاف فى الأرض ، كما جاء فى كتاب الله : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

قواعد الشورى و نظام الجندية :

من المعروف أن الملآئكة الكرام هم جنود الله لايعصونه ما أمرهم ويفعلون

ما يؤمرون ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء دون اعتراض منهم ، وقد هيأ سبحانه الفرصة للملآئكة الكرام لابداء رأيهم فى هذا المخلوق الجديد و إذا طلب القائد معرفة رأى أجناده ـ و لله المثل الأعلى ـ وجب عليهم إبداء الرأى بكل أمانة و صدق و إخلاص و له بعد ذلك أن يقرر ما يراه صالحاً ، و عليهم بعدها أن يصبحوا لارادته ككل جندى يسمع و ينفذ أمر قائده دون تعقيب أو اعتراض مع ملاحظة أنه فيما بين البشر (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) كما علمنا رسول الله عليه الصلاة و السلام ، و لعل فيما عرض الله سبحانه على الملآئكة من خلق آدم فى الأرض ، و إعلان الملآئكة رأيهم فيه لربهم على ضوء ما سبق أن قامت به مخلوقات أرضية ، و علمه ـ سلفاً بما ستقوله الملآئكة و بما سيقوله سبحانه رداً على قولهم أجل فى هذه الصورة المتكاملة ـ ما يعطى المسئولين عن شئون الناس على هذه الأرض درساً مشرقاً فى وجوب إرساء قواعد الشورى لاسيما بينهم و بين ذوى الرأى و الاخلاص حتى لا تزل الخطى وتعثر الأقدام عندما يستأثر إنسان برأيه ويتعصب لاتجاهه متجاهلا قواعد الشورى فتقع صوالح الناس و مستقبلهم فريسة الاستبداد بالرأى و التعلق بحبل الأنانية و الأثرة .

ولعله أروع مثل يضربه سبحانه فى الملأ الأعلى لبنى آدم ليحتـــذى به الأنبياء و الرسل و يقتدى به خلفاؤهم و السائرون فى طريقهم استئناساً برأى الأكثرية و استخلاصاً للحكمة و سداد الرأى من كثرة الآراء توقياً للعثرات ، و قد جاءت الآية الكريمة ١٥٩ من سورة آل عمران تحث على إقامة هـــذه الفضيلة بقوله سبحانه : (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) وقد سمى الله إحدى سور كتابه بالشورى كما أثنى الله فيهـا على أهل الشورى بقوله

سبحانه : (وأمرهم شورى بينهم) و من واجب كل فرد أن يدلى برأيه مخلصاً أميناً لا يرجو من وراء ذلك شهرة أوحسن أحدوثه أو تعصباً لحزب أوعنصرية بعيداً عن الخيال و العاطفة ليستقيم الصف و يفوز الجميع بحب الله ونصره كما جاء فى سورة سماها الله سبحانه بصورة الصف أذكر منها قوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبرمقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) والله سبحانه غنى عن كل استشارة أو معونة وكان من الممكن أن يأمر الملائكة بالسجود دون أن يعصوا لله أمراً ، و لكنه جلت حكمته أراد أن يسجدوا لآدم عن اقتناع بأنه أهل للسجود تقديراً لفضله و علمه وسمو رسالته وفى سجودهم عدول عن رأيهم فيه ، وفى هذا العدول خضوع كريم لحكمة عليا و إرادة سامية مبعثها تكريم العلم فى شخص أبى البشر عليه السلام وليتعلم أبناؤه من بعده أن الرجوع إلى الحق فضيلة لا حرج فيه و لا هزيمة ، وأنه يجب إرساء قواعد النظام و الحزم و احترام العلاقة المثلى بين قوى التنفيذ الأمينة فى القيادة و بين قوى الحرية المشروعة فى مختلف طبقات الجندية المخلصة على أساس الصالح العام بحيث لا تفقد الشورى حدودها و وقارها ، ولا تعتدى قوى التنفيذ على محراب الشورى فتشل رسالتها ، وفى ذلك مدعاة لتكوين مجتمع مثالى فاضل يتمتع بحرياته دون الخروج عن الجادة المستقيمة بالنتوء عن الصف القويم لغرض أو مرض ، و فى هذا خير علاج لما يقع فى كثير من المجتمعات من خلافات بين مثل هاتين القوتين اللتين لا غنى لمجتمع كريم عن تعاونهما فى إسعاد البشر كما أن فيه مغزى كريماً مما اشتملت عليه قصة آدم عليه السلام .

شرور العنصرية :

يستدل من آيات كتاب الله أن امتناع الشيطان عن السجود اعتزاز بالعنصرية و تعصب للنوع ، فقد اعتز إبليس بعنصره النارى محتقراً عنصر الطين وقد تكرر التنديد بهذا التعصب ، ففى سورة الأعراف : (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين) الآية ١٢ (و فى الآية ٦١ من سورة الاسراء قال جل شأنه : (و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) وفى الآيات ٧٥ - ٧٨ من سورة (ص) حيث يقول جل شأنه: (قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أ ستكبرت أم كنت من العالين ؟ قال أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين ، قال فاخرج منها فانك رجيم ، و إن عليك لعنتى إلى يوم الدين) ومن ذلك يظهر أنه إذا خرج فرد على مجموعته ، معتزاً بعنصريته ، منتصراً لنفسه بدافع الحقد و الحسد محاكياً للشيطان فى اعتزازه وخروجه فليس لهذا - المعوق لسير القافلة المضلل لها عن الطريق السوى - إلا الطرد من هذه المجموعة المنسجمة المتحابة فى الله و التى تعرض رأيها فى صدق و أمانة ابتغاء وجه الخير للخير ذاته دون أن تشوب ذلك شائبة تعصب أو أنانية .

« يتبع »

■■

دور الاسلام فى إنهاض المجتمعات الاسلامية

● شعب الأفغان شعب مسلم متمسك بدينه و عقيدته

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

[فى شهر يونيو زار وفد من رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة]
[أفغانستان برئاسة سماحة الأستاذ الندوى و قضى بها أياماً ، و قد]
[ألقى سماحة الأستاذ الندوى كلمة ضافية فى جامعة كابل حضرها]
[عدد وجيه من رجال العلم و الثقافة و الاعلام و الصحافة ،]
[تحدث فيها الأستاذ عن دور هذا البلد المسلم التاريخى فى خدمة]
[الدعوة الاسلامية و عن الأبطال الكبار الذين أنجبتهم هذا البلد المسلم]
[فيما مضى من الزمان ، نقدمها إلى قرائنا الكرام تعميماً للنفع]

بعد الحمد و الصلاة على رسول الله ﷺ . .

صاحب السعادة سفير المملكة العربية السعودية . . مدير الجامعة - عمداء الكليات وأساتذة الجامعة وإخوانى الطلبة ، أشعر بسعادة و فرحة تغمر جوانحى إذ أقوم أمام هذه الوجوه المشرقة النيرة و أمام هذه النفوس النبيلة الأصيلة ، و لا أستطيع أن أفسر هذه السعادة التى تخامرنى فى هذا المقام الذى أقومه إلا بأنى أزور هذه البلاد التى سمعت عنها كثيراً و قرأت عنها كثيراً ، وأستطيع أن أقول كما قلت فى بعض المناسبات إنى عشت فى تاريخها و عشت فى أخبار فتوحها و غزواتها و عشت فى تراجم رجالها العباقرة و قادتها الفاتحين ورجالها العصاميين حملة العلم و النور و رسالة الاسلام إلى ما وراء هذه الجبال إلى الهند

و ما يليها من البلاد ، إذاً فهذه السعادة التى أشعر بها غير دخيلة ولا غريبة . . و فوق ذلك هى فرحة المسلم الذى يلتقى إخوانه المسلمين الذين يسكنون وراء هذه الجبال . إننى سعيد بهذه الزيارة الكريمة . . سعيد بهذا اللقاء الكريم و بهذا المجلس الذى أكرمتمونى بالوقوف و التحدث فيه .

إخوانى — إنكم تعرفون جميعاً ، و خصوصاً المهتمين بدراسة الآداب و الذين ينصرفون إلى دراسة التاريخ ، أن الشعب الأفغانى من الشعوب العريقة فى القدم ، من الشعوب التى عاشت مئات وآلاف السنين فى حرية و كرامة . . و قد أكرمهم الله بسجايا و مواهب و طاقات فريدة منذ عهود بعيدة .

إننى أتساءل — وإنى أفتخر بأنى عكفت على دراسة التاريخ ، وأنه هوايتى وأن التاريخ هى المادة المفضلة المحببة عندى — لماذا بقى هذا الشعب قروناً طويلة شعباً منعزلا عن العالم ؟ . شعباً لا شأن له بما يجرى فى العالم من خير و شر و حسن و قبح و من فتح وغزو و من استبداد وجور . . لماذا بقى هذا الشعب الباسل الجسور ، الصالح للقيادة ، المليء بالحيوية ، الغنى فى الذكاء ، الفائق فى قوة السواعد و فى قوة العاطفة . . لماذا بقى هذا الشعب الأصيل المجيد هذه القرون الطويلة المتطاولة منطوياً على نفسه منعزلا فى ركن من أركان العالم . . هل كان ذلك لأنه كان بينه و بين العالم الخارجى سد منيع من الجبال ؟ لا يا إخوانى . . لقد سجل التاريخ أن هذه الجبال الشاهقة المكسوة بالجليد لم تكن عائقاً قط فى سبيل الغزاة و الفاتحين . إن هذه الجبال لم تستطع أن تقف فى طريقهم . و تعرفون جميعاً أن هذه المسالك الصعبة المنعطفة التى يتيه فيها الانسان و التى تفصل أفغانستان عن الباكستان و الهند تهاوت تحت أقدام المد

الاسلامى لما قيض الله لهذه الأمة قادة فاتحين كالسلطان محمود الغزنوى و شهاب الدين محمد الغورى وأحمد شاه الأبدالى رحمهم الله جميعاً ، هل كان هذا الشعب مصفداً بالأصفاد مكتوف الأيدى . لا ، لا ، إن هذا الشعب قد جربت شجاعته مراراً وظهرت كفايته مراراً و لكن كان هذا الشعب مقتنعاً بما أوتى من مراعى خصبة ومن ماشية و زروع وغير ذلك من وسائل المعيشة المحدودة . وهذا سؤال يستحق منكم الاجابة ..؟

لماذا نقرأ فى التاريخ أنه لما دخل الاسلام فى هذه المنطقة انتبه هذا الشعب من سباته العميق الذى امتد على آلاف من السنين وقفز قفزة لا نظير لها فى قفزات الأمم ، فاذا هذا الشعب من أقوى الشعوب و من أشجعها و من أكثر الشعوب علو همة و بعد نظر و قوة إرادة ، لماذا قفز هذا الشعب إلى الوجود كأنه كان كنزاً مختفياً ، أو كأنه كان سراً مكتوماً فاكتشف .. هل كان هناك تيار كهربائى سرى فى جسم هذا الشعب أومسته عصا سحرية حولت هذا الشعب من شعب قانع وادع هادىء قاعد منعزل إلى شعب جسور فاتح منطلق . هل كان هناك صخرة من الصخرات كانت تمنع تدفق هذا النهر الفياض ..؟

إن المفتاح الرئيسى لفتح هذا القفل هو أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم هذا الشعب الأفغانى الكريم بثلاثة عناصر جاءت عن طريق الاسلام :

١ــ الرسالة السامية و أهدافها .

٢ــ النظرة الواسعة إلى الانسانية و العالم الخارجى و حقائق الأشياء .

٣ــ الثقة القوية بنصر الله و تأييده و بنتائج الأعمال و المساعى .

هذه هى العناصر الثلاثة التى تكون للشعوب شخصية جديدة و تصنع منها

شعباً جديداً كأنه ولد ولادة جديدة ، فيصنع تاريخاً جديداً و يبهر العالم بطاقاته المخبومة و آفاقه المجهولة ..

كان هذا الشعب بلا رسالة ، وكان فى حدود هذه البلاد ، وكان يرعى الماشية ، وكان بعضه يغير على بعض ، كما يقول الشاعر العربى :

وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

وطبيعة الغزو تأتى من نتيجة الفراغ الخلقى والروحى ، فكانت قبائل العرب فى الجاهلية تتشاغل بحروب داخلية ، قبيلة تهاجم قبيلة ، وفصيلة تزحف على فصيلة ، وعشيرة تعادى عشيرة ، كذلك الشعب الأفغانى لم يجد ما يشغل به طبيعته الحربية و ما يروى به غلته ، و ما يقنع به طموحه الكبير غير الحروب الداخلية . . حروب المراعى . . حروب على الماشية ــ حروب على النخوة القبلية أوالفردية ــ حروب على إهانات متخيلة مزعومة ، وصدق الشاعر العربى :

النار تأكل نفسها إذ لم تجد ما تأكله

فلما جاء الاسلام ، أصبحت للعرب رسالة كما أصبحت للشعب الأفغانى رسالة .. كانوا يعيشون لأنفسهم فاذا بهم يسمعون قول الله سبحانه و تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » .

فعرفت أنها ليست مما تلفظه الأرض ، ليست من الحشائش التى تنبت فى الحقول ، إنما هى مقصودة مطلوبة ، أمة من ورائها أهداف و أغراض ، من رسالات و غايات .. آمنوا أنهم أمة أخرجت للناس لم تخرج و لم تنبت بنفسها لاشباع غريزتها الحربية من نهب و غارة و غزو وسفك دماء ، فاذا هى تعتقد

أنها أخرجت تكافح حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. وليخرج الناس من الظلمات إلى النور و من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة و من جور الأديان إلى عدل الاسلام .

يا أبناء الجامعة ويا شباب الأفغان المثقف ..!

كان هذا الشعب بلا رسالة فجاء الاسلام فكان شعباً له رسالة سامية فى الحياة ، احتضن هذا الشعب هذه الرسالة السامية و تبناها و هى التى نفخت فى هذا الشعب روحاً جديدة - كان يعيش فى جاهلية جهلاء و فى ليلة ظلماء يتسكع فى الخرافات و الجهالات و السفالات و فى ظلم الانسان للانسان ، و فى ازدراء القوى الضعيف ، و فى هضم الحقوق و إهدار الكرامات و فى إشباع الغرائز وقد ملأت جوانحهم روح جديدة قد استولت على مشاعرهم وأعصابهم وتفكيرهم فاذا بها أمة غير أمة ، بل إذا بالانسان غير الانسان ، كانت السواعد هى السواعد و العقول هى العقول و الأرض هى الأرض و المناخ هى المناخ ، و لكن هذه الرسالة الجديدة قد جعلت منهم أمة جديدة .

والعنصر الثانى أن الأفغان كانوا يعيشون حياة ضيقة محدودة كانوا ينظرون إلى الدنيا نظرة محدودة ، و كانت نظرتهم إلى الانسان و الحياة ضيقة محدودة ، ما هو الأنسان ؟ الانسان هو الأفغانى ، ما هو الانسان ؟ الانسان هو الذى يسكن فى هذه البلاد ، والذى يتكلم بلغة هذه البلاد والذى يتزيأ بزى هذه البلاد و الذى يتغنى بحب هذه البلاد .. هذه النظرة الضيقة هى التى حبستهم فى هذه المنطقة الضيقة .

ما هى الحياة ؟

هى أكل و شرب و متعة و تسلية ، قوة و سيادة ، و غلبة و رئاسة ، إنهم كانوا يعيشون كما يعيش السمك فى الأحواض ، و كما تعيش الضفادع فى البرك - و هكذا كان العرب قبل الاسلام و الأتراك قبل الاسلام و الفرس قبل الاسلام .. أخرجهم الاسلام جميعاً من هذا السجن المظلم الضيق كما قال رسول العرب : « لنخرج من شاء الله من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، كان آباؤكم ينظرون إلى الانسان نظرة ضيقة ليس فيها تسامح وليس فيها بعد نظر وليس فيها عمق و منحهم الاسلام هذه النظرة الواسعة فصاروا ينظرون إلى الانسانية كأسرة واحدة و إلى العالم كبيت واحد .

وكانت هذه هى عقيدتهم نحو الانسانية كما قال رسول الله ﷺ : كلكم من آدم وآدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى إلا بالتقوى ، فالنظرة التى كان ينظر بها القادة نظرة لا تؤمن بالحدود الجغرافية ولاتؤمن بالتقسيمات المصطنعة التى ما أنزل الله بها من سلطان ، المسلمون خرجوا من هذه الحدود إلى آفاق أوسع ، ولولا هذه النظرة الواسعة لبقوا كما بقى آباؤهم قروناً طويلة .

العنصر الثالث : و هى الثقة المتينة الوطيدة ، فلما آمنوا بالله وحده وآمنوا برسوله و اليوم الآخر و آمنوا بقضاء الله و قدره ، عرفوا أن الموت له وقت مقدر لا يتقدم ولا يتأخر ، وقد سمعوا قول الله وآمنوا به : « أينما تكونوا يدرككم الموت و لو كنتم فى بروج مشيدة » .

وسمعوا قوله تعالى : « إذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون » إن هذا الايمان ملأهم ثقة واعتزازاً وعرفوا أن الانسان لا يموت إلا فى اليوم الذى قدره الله ، فعرفوا أن لكل شئ أجلا مسمى و أن كل شئ بيـد الله تعالى و أمره .

ثم اكتسبوا ثقة أخرى من الرسالة السماوية و أنهم جند الله وأنهم أنصار الله واستمعوا إلى قوله تعالى : (وإن جندنا لهم الغالبون ، و إن جندنا لهـم المنصورون ، ألا إن حزب الله هم المصلحون . وإنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة ويوم يقوم الأشهاد . و أن العزة لله ولرسوله و للمؤمنين . و لا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات ، وهذه الثقة كانت مضافة إلى الثقة الأولى .

وبهذه المناسبة أذكركم أيها الاخوان أنه لما أتى سيدنا سعد بن أبى وقاص أمام دجلة وهى تموج وتزبد هناك وقف سعد بن أبى وقاص هنيهة واستعرض الماء المائج و ما حوله و نظر إلى سلمان الفارسى وقال له : هل نخوض هـذا البحر المائج أونرجع فنبنى القناطر والجسور ، فقال سلمان الفارسى كلمته الخالدة التى حفظها التاريخ قال : إن هذا الدين لجديد ، إنى مقتنع بأن الله تعالى سيظهر هذا الدين ـ و إنه لم يصل القمة التى قدرها الله له أن يصلها ـ فكيف أظن تغرق هذه السفينة التى فيها حملة هذه الرسالة ـ كلمة عامرة بالمعانى عميقة كل العمق إذا كان هذا الدين جديداً فلا بد من دوره المقدر له فى بناء العالم و فى قيادة الدنيا و العالم و فى هداية البشرية و إنقاذها .. و أمر سعد بن أبى وقاص جيشه أن يعبر النهر ، وكما يقول الطبرى إنه لما رأوا قالوا ـ ديوان آمدند ـ يعنى

جاء الجن و العفاريت ـ فبهذه الثقة غمرت قلوبهم و نفثت فيهم حياة جديدة .

و ارجعوا إلى تاريخكم كيف كان محمود الغزنوى يفتح البلاد الواسعة . وقد أثبت التاريخ أنه زحف على الهند سبع عشرة مرة و توغل فيها فيصل إلى أقصى الشرق و إلى أقصى الجنوب ولا مدد ولا ميرة و مركزه بعيد دونه الجبال الشاهقات و المسالك الوعرة و الشعاب الضيقة و لا ينظر إلى هذه الغزوات إلا كما ينظر الشاب الرياضى القوى إلى الملعب و المباراة إلى ميدان الرياضة ـ إنه كان معتمداً على الله ثم يعرفون أن الجهاد عبادة والموت فى سبيل الله شهادة ـ و الشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون ، إنه كان مؤمناً كل الايمان بأنه حامل رسالة الله و بأنه سينشر دين الله و الاسلام فى الهند .

هذه العناصر المكونة بشخصية الشعوب ليست بشخصية الأفراد ، و إن شخصية الأفراد لا شك قضية مهمة و قد تناولها بحثاً علماء علم النفس و رجال التربية و لكنى أتحدث الآن عن شخصية الشعوب فهذه العناصر منحت الشعب الأفغانى شخصية جبارة ، شخصية لاتقاوم شخصية لاتغالب ولاتنهزم ـ وإن هذا كان مصير الأمم لما فقدت هذه العناصر المكونة الشخصية ولما أفلست فى هذه العناصر ، فانى أخشى على الشعب الأفغـانى العزيز أن يتجرد فى هـذه الفترة الدقيقة من تاريخ الانسانية و من تاريخ هذه الأمة من هذه العناصر القيادية القوية وأن يعود إلى سيرته الأولى حين لم يدخل الاسلام فى هـذه الأرض و لم يك مهتماً بالدعوة الاسلامية .

أقول لكم أيها الشباب ! اغرسوا هذه العناصر فى قلوب شعبكم و اسقوها و غذوها و احرصوا عليها و لا تضيعوهـا فالشعب لم يزل من قديم الزمان هو

الشعب و الجبال هى الجبال و السماء هى السماء و نهر كابل هو نهر كابل يجرى من آلاف من السنين — وهذه الخيرات التى أكرم الله بها هذه الأرض — هذه الثمرات الطيبة و هذه الفواكه اللذيذة و هذا الماء العذب السائغ وكل شئ أكرم الله به هذه البلاد من آلاف السنين ولايزال، ولكن القضية قضية العناصر و قضية الرسالة ، و قضية الثقة ، و قضية الأهداف والغايات ، حتى تكون للحياة غاية ، وللمواهب مجال للظهور ، وللقلوب مثل كامل فى الحسن والاحسان تهيم بحبه — و قد أدرك الدكتور محمد إقبال هذه الحقيقة و شكى إلى الله الجيل الاسلامى المعاصر فى خموده و جموده و فى نكبته و تعاسته فكان الجواب « إنه يعيش بلا غاية و بلا رسالة و من غير مثل كامل يهيم بحبه و يتغنى بجماله وكماله و يترسم لخطاه .

ياشباب الأفغان — إن الله سبحانه وتعالى أكرمكم ولم ينقص عليكم شيئاً ..

وإن الله تعالى قال : — إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم — إن الله أكرم من أن يسلب نعمة أنعمها على قوم إلا أن يكون هذا الشعب أو هؤلاء الناس كفروا بهذه النعمة (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) هذا واقع تاريخى لا يشك فيه إنسان، إن القضية قضية المعرفة — معرفة الشخصية — قضية معرفة القيمة — إعرفوا قيمتكم ياشباب.

يقول شاعر الاسلام إقبال : إنزل فى أعماق قلبك إن لم تكن صديقى فلابأس و لكن كن صديق نفسك و إن لم تعرفنى فلابأس و لكن اعرف نفسك.

الدكتور خورشيد أحمد

الاسلام فى أوربا
طبيعة المشكلة

صلة الاسلام مع أوربا ذات تاريخ حافل و ملون ، فقد جاء الاندفاع الاسلامى الأول من الجنوب غير أن هذه الموجات تراجعت بعد أن وصلت إلى حدود ألمانيا و جنوب فرنسا ، أما أسبانيا فظلت جزيرة إسلامية متألقة فى أوربا على مدى ستة قرون ، وكان لها أثر فى بقية أجزاء القارة الأوربية ، غير أن هذا الأثر ظل جزئياً وغير مباشر ، ثم جاء عصر الحملات الصليبية ، التى قامت على أساس من الجهل والتعصب وتشويه الحقائق ، وأسفرت عن سفك الدماء والعداء . و رغم أن الحروب الصليبية انتهت بعد تقلبات كثيرة فى نتائجها بين الجانبين ، فان بذور عدم الثقة التى زرعت فى تلك الفترة نمت و تحولت إلى غابة من الأشواك والأعشاب ، ومنذ ذلك الحين ظل العالم الاسلامى وعالم النصرانية متباعدين ، و ما تزال الظلال المشؤمة تخيم فوق الرؤوس ، ومع ذلك ظلت الاتصالات الفردية و آثار الاسلام الثقافية تنتشر ، و الواقع أن هذه الاتصالات الفردية و الآثار الثقافية هى الجانب الوحيد البراق فى أفق قاتم فى جوانبه الأخرى كلها .

وصلت رسالة الاسلام إلى شعوب أوربا الشرقية عن طريق التجار المسلمين

بل و عن طريق الذين وقعوا فى الأسر إبان الحروب الصليبية(١) ، ولقد ساد الاثر الفكرى و الثقافى الاسلامى الفترة كلها ، وما يزال محسوساً حتى الأزمنة الحديثة (٢) ، و لكن هذا الأثر لم يتمكن من إزالة التعصب ضد الاسلام كما لم يتمكن من تمهيد الطريق لتفهم أفضل لرسالة محمد ﷺ فى هذا الجزء من العالم .

تبدأ المرحلة الثالثة مع امتداد الامبراطورية العثمانية و بسطها سلطانها على أجزاء من شرق أوربا ، ولكن هذا المد أخذ ينحسر ابتداء من القرن التاسع عشر عندما بدأت حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين ، فى تلك الفترة كان العمل التبشيرى النصرانى قد رسخ أقدامه فى بقية أنحاء العالم ، وكانت الدول الغربية تتخذ لنفسها مستعمرات فى البلاد الاسلامية ، كذلك فقد أعدت دراسات نصرانية فى مهاجمة الاسلام و النيل منه ، فكانت عاملا كبيراً فى خلق تعصبات جديدة ،

(١) أنظر The preaching of Islam « التبشير بالاسلام » ت ، و ، آرنولد لندن ١٩١٣ ، ولنضرب مثلا واحداً فقط ، كان دخول الاسلام أول مرة فى أوربا الشرقية نتيجة لعمل قاض مسلم وقع فى الأسر . . و أخذ إلى بلاد البشناق (بين الدانوب الأسفل و الدون) فى بداية القرن الحادى عشر ، ولم ينته ذلك القرن إلا وأن شعب البشناق كله قد اعتنق الاسلام Encyclopaedia of Religion & Ethics « دائرة المعارف و الأديان و الأخلاق » ادنبرة ١٩١٥ ، المجلد الثامن ص ٧٤٨ .

(٢) أنظر The Making of Humanity لروبرت بريفولت ، وكتاب History of Intellectual Development of Europe لويليم دريبر ، تاريخ التطور الفكرى فى أوربا .

و نشر غثاوة من المعلومات الخاطئة عن الاسلام ، و لعب نمو الدراسات الاستشراقية دوره فى هذه الاساءة الفكرية و الثقافية (١) و تدهورت العلاقات بين الاسلام و الدول الأوربية إلى مستوى أدنى

أما المرحلة الحالية فى العلاقات بين الاسلام و الدول الأوربية فقد بدأت مع انحسار الاستعمار و ظهور حوالى أربعين دولة إسلامية مستقلة .

لقد عاش بعض المسلمين فى أنحاء كثيرة من أوربا على مر السنين ، وعلى الرغم من أن قوتهم الكلية كانت نحوا من ثلاثة أو أربعة فى المأة من مجموع السكان الكلى فى أوربا (٢) ثم جاءت موجات كثيرة من الهجرة إلى إيطاليا و فرنسا و هولندا و المملكة المتحدة كان أغلبها من البلاد التى استعمرتها هذه الدول فى الماضى ، كذلك فقد نالت ألمانيا نصيبها من « العمال الضيوف » الذين جاؤوها من تركيا ، و قد نجم عن هذه الهجرة فى العقدين الأخيرين وجود جاليات إسلامية كبيرة فى عدد من الدول الأوربية ، كذلك فقد وفد إلى أوربا عدد ضخم من الطلاب ، خصوصاً من الذين يحضرون دراسات عليا ، ومايزال وفود هؤلاء الطلاب مستمراً فى تدفقه ، و تدل بعض التقديرات المتحفظة أن

(١) أنظر Islam & the West « الاسلام والغرب » خورشيد أحمد لاهور ١٩٦٣ ، وكتاب English Speaking Orientalists المستشرقون الناطقون بالانجليزية » عبد اللطيف الطباوى ، لندن .

(٢) كان عدد المسلمين كبيراً فى بعض البلدان ، إذ كانوا يشكلون قبل الحرب العالمية الثانية ستة و ستين فى المأة من مجموع سكان ألبانيا و أكثر من خمسة عشر فى المأة من مواطنى يوغوسلافيا ، و أربعة و عشرين فى المأة من سكان قبرص و أحد عشر فى المأة من مالطة .

عدد المسلمين حالياً فى أوربا يبلغ حوالى ثلاثة و عشرين مليونا ، منهم نحو من خمسة ملايين فى الدول الأوربية غير الشيوعية ، و ثمانية عشر مليونا فى أوربا الشيوعية ، بما فى ذلك المناطق الأوربية من روسيا ، و لكن هذه التقديرات هى فى أفضل الأحوال « تقديرات (١) » مبنية على اطلاع وعلم ، و نحتاج فى

(١) تستند هذه التقديرات إلى البحث القيم حول عدد المسلمين فى بلاد العالم ، و الذى قام به المرحوم أحمد عبد الله المسدوسى .
(Living Religions of The Wor!d : A Socio - Political Study)
« الأديان الحية فى العالم : دراسة اجتماعية سياسية » كراتشى ١٩٦٢
و تنطبق احصائياته على عام ١٩٥١ ، و قد حسبنا عددهم لعام ١٩٧١ على افتراض أن نسبة الزيادة الصافية فى عدد السكان هى واحد ونصف فى المأة فى العام ، وقد قدرت هجرة المسلمين فى العقدين الأخيرين على النحو التالى : مليون مهاجر إلى فرنسا . ونصف مليون إلى كل من ألمانيا و بريطانيا العظمى ، ومأتى ألف لبقية أوروبا الغربية .

أما المصادر الغربية فقد حاولت باستمرار أن تقدم أرقاماً للمواطنين المسلمين فى أوروبا تفرط وتبالغ فى تقليلها إلى حد غير معقول أحيانا ، و لنأخذ مثالين اثنين ، تذكر « خريطة الأديان و الارساليات فى العالم » (Map of the Worlds Religions and Missions الطبعة الرابعة ١٩٦٦ ، برن ، سويسرا) إن عدد المسلمين فى أوربا بما فى ذلك روسيا كلها يبلغ ٧ ر ٣٣ مليونا ، بينما يبلغ عدد المسلمين فى روسيا الآسيوية وحدها بين ثلاثين وستة وثلاثين مليونا ، و يذكر « الكتيب النصرانى العالمى ١٩٦٨ » .
The World Christian H ndbook 1968 أن عدد المسلمين ⊛

هذا الأمر إلى بحث ودراسة تفصيلية ، والواقع أن هذا مجال يدعو الباحثين المسلمين إلى بذل جهد كبير للتأكد تماماً من القوة العددية الصحيحة للمسلمين فى أوربا .

و نظرة إلى واقع هؤلاء المسلمين خصوصاً فى الدول غير الشيوعية تظهر أن أكثر من عشرين فى المأة منهم تتألف من أطفال أو شباب يدرسون وفق أنظمة تعليمية مختلفة ، و لعل نسبة الشباب ترتفع إلى معدل أكبر فى المملكة المتحدة (١) و هذا يلقى الضوء على الأبعاد الهائلة للتحدى التعليمى الذى يواجهه المسلمون فى أوربا .

و تحليل السكان المسلمين يبين وجود ثلاث مجموعات رئيسية :

(الف) المسلمون المحليون .

(ب) جاليات إسلامية كبيرة مهاجرة تعيش فى دول معينة .

(ج) عدد كبير من الطلاب المسلمين و « العمال الضيوف » وموظفى المنظمات الدولية و الهيئات العاملة فى بلاد متعددة ، و هذه المجموعة الأخيرة يفترض أنها

⊛ فى أوربا هو ٣ ر ١٣ مليونا ، ويزعم أن المسلمين غير موجودين فى فى أية دولة أوربية غير شيوعية باستثناء اليونان (ص ٦٣٥ — ٦) و هذا إما جهل فاضح أو تعصب أو الأمران معاً ، وهو يعتبر تحدياً للمسلمين يتطلب منهم أن يبينوا الحقيقة الواقعة .

(١) أنظر « اللون والجنسية : تقرير حول العلاقات العرقية فى بريطانيا »
Colour and Citizenship : A Report on British Race Relations
معهد العلاقات العرقية ، مطابع جامعة اكسفورد ١٩٦٩ . الفصل ١٠ فقرة ٠٣ . يذكر التقرير أن ١٢ — ١٦ فى المأة من السكان المهاجرين إلى بريطانيا تتراوح أعمارهم بين ٥ — ١٤ عاماً وإن ١٠ — ١٤ فى المأة تتراوح أعمارهم بين ١٥ إلى ٢٤ عاماً .

تقيم فى الدولة المضيفة لفترة محدودة فقط ، و إن كانت مدة بقـاء « العمال الضيوف » و المستخدمين فى المنظمات الدولية تظل مفتوحة ، لا حد لها .

حاول المسلمون فى كل مكان تقريباً أن ينشئوا المساجد ، و أنواعاً من المراكز الاسلامية ، كذلك فقد اتخـذت بعض الترتيبات لتوفير تعليم إسلامى للأطفال المسلمين ، و الصلات بين المسلمين المحليين و المسلمين المهاجرين صلات طيبة عادية ، و هى فى ازدياد ، كما تبذل بعض الجهود لتعريف أهل البـلاد بتعاليم الاسلام ، ومن الواضح كذلك وجود اندفاع جديد فى النشاط الاسلامى فى مناطق كثيرة ، و إن هذا الوضع يزخر بامكانيات عقيدية هائلة ، وهو وضع يبشر بمستقبل طيب . و لهذا فانه لجدير بنا أن نقوم بدراسة مستفيضة للشكلات التى تواجهها الدعوة الاسلامية و الامكانيات المفتوحة إمامها .

للشكلة بعدان :

(ألف) كيفية توفير الحماية والحفاظ على الشخصية العقيدية والثقافية للمسلمين الذين يتعرضون لمناخ غير ملائم لهم خلقياً و ثقافياً ، و هذا يعنى بعبارة أخرى كيفية جعل المسلمين مسلمين حقاً على الصعيدين الفردى و الجماعى .

(ب) ما هى أفضل السبل لتبليغ رسالة الاسلام لغير المسلمين ، مع الأخـذ بعين الاعتبار خلفياتهم الفكرية الثقافية .

و هذان الجانبان للشكلة جانبان متميزان ، وكل منهما له أهميته الخاصة ، لكنهما يترابطان كذلك ويتصل أحدهما بالآخر ، فالمثال الذى يضربه المسلمون يؤثر على عملهم التبشيرى ، كما أن جهودهم التبشيرية تترك أثراً على حياة الناس الاسلامية . وبالرغم من أن الحكمة تقتضى تحديد أهداف معينة واستراتيجية لكل من هذين الجانبين فان من الواجب أن لا نغفل عن الترابط الوثيق بينهما .

الدّعوة الإسلاميّة

- نحو الصراط المستقيم
- الاهتمام باختيار وسائل القتال
- لمحات عن حياة الامام صلاح الدين الأيوبى

نحو الصراط المستقيم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

وإذا كانت عبودية الله عميمة الشمول تتعمق إلى جميع نواحى الحياة و تتطلب من العبد بذل المجهود وتكريس جميع أوقاته فى مرضاة ربه وتسخير كل شئ لاعداد القوة التى يردع بها كل عائق يعوقه عن سلوك مرضاة ربه ، وكان السبيل إلى ذلك طريقاً واحداً من سلك سواه من الطرق التى يحبذها ويدعو إليها شياطين الانس والجن فقد ضل و غوى ، و ذهبت أعماله خسراً و هباء منثوراً ، استوجب ذلك أن يردف ابتهاله إلى الله بكامل الضراعة سائلا هدايته إلى ما يحقق عبوديته على الطريق الموصل إليه و الوجه الذى يحبه قائلا (اهدنا الصراط المستقيم) الذى لا عوج فيه و لا لصاحبه غاية سوى الله (الصراط) الذى سلكه و يسلكه من أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين صراط الله الذى له ما فى السماوات و ما فى الأرض ، الطريق الذى طلب الله من أنبيائه و رسله و أتباعهم على الحق سلوكه وفق شريعته من أمر و نهى و حدود ، لأنه سبحانه و تعالى لا يرضى أن يعبد إلا بما شرع ، فمن عبده على خلاف شرعه فهو من (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

كما أن من عبده وفق شرعه فى المأمور و المحظور لكن أهمل حدوده أو أشرك بربه فى حبه و تعظيمه لبعض البشر الذين عطلوا حدود الله وشرعوا أنظمة و قوانين جزائية مخالفة لحكمه و حدوده فان عبادته لا تنفعه مادام موالياً لطواغيت البشر بالحب و التعظيم و هم يحكمون بغير ما أنزل الله لأن من شروط تحقيق التوحيد الكفر بالطاغوت .

فالمقدس له بالحب و التعظيم و قبول ما يصدر عنه استحساناً يكون من جملة من قال الله فيهم (هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى ناراً حامية . تسقى من عين آنية) وقد حصر الله الضلال فيما سوى الحق الذى شرعه كما قدمنا توضيحه ، فمن لم يتبع ما شرعه الله ابتدع ضلالات لا يعلم مدى ضررها و أضرارها إلا الله .

قال الشيخ ابن تيمية (إن كل من سلك إلى الله عز وجل علماً أو عملا بطرق ليست مشروعة موافقة للكتاب و السنة و ما عليه سلف الأمة و أئمتها فلا بد أن يقع فى بدعة قولية أو عملية فان السائر إذا سار على غير الطريق المتهيع فلا بد أن يسلك بنيات الطريق و إن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهداً فيه مخطئاً مغفوراً له خطؤه ، و قد يكون ذنباً و قد يكون فسقاً و قد يكون كفراً بخلاف الطريقة المشروعة فى العلم و العمل فانها أقوم الطريق ليس فيها عوج كما قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) وقال عبد الله بن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطا وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

و قال الزهرى كان من مضى من علمائنا يقولون (الاعتصام بالسنة نجاة) إنتهى ، و منه تعلم أن البدعة ليست منحصرة فى العمل فقط ، و إنما هى داخلة فى العلم أيضاً فمن تعلم علماً مخالفاً لما جاء به محمد ﷺ و من تبعه و فرع عليه أصحابه و التابعون لهم باحسان فعلمه لا شك أنه يجلب الضرر عليه و على من تأثر به من الخلق لأن كل علم لا يقرب صاحبه من الله و رسوله لا بد من أن يقربه لأعدائهما .

و كل علم لا يجب لصاحبه الايمان الشرعى و يغرسه فى قلبه لا بد أن يجب إليه الكفر و الفسوق و العصيان و الركون إلى أهل ذلك ومجانبة أهل الله وازدرائهم ، كما هو المشاهد فى هذا الزمان ممن تعلموا علماً مادياً على أساتذة الكفر الذين ودوا أن يردونا عن الاسلام فأدخلوا من تتلمذ عليهم من أبناء المسلمين فى دركات الكفر و الالحاد و التشكيك و جعلوهم يستسيغون المنكر باسم التقدم و المدنية ، ويعتبرون العفة والحصانة وأكثر ضروب المعروف تخلفاً عن ركب الحضارة المزعوم الذى هو فى الحقيقة ركب دعارة و خلاعة و جناية على جميع مقومات الانسانية حتى أفقدوهم شخصيتهم الحقيقة و أضاعوا مقوماتهم الدينية و الخلقية فازدوجت شخصيتهم بأولئك ازدواجاً لا تنخلص منه إلا بالرجوع إلى صراط الله .

و انصهرت آدابهم و أخلاقهم الطيبة فى بوتقة من تتلمذوا عليه و احتسوا من قيحه و دمه وصديده وأصبحوا صورة سيئة لأولئك فى عقيدتهم وأخلاقهم و نظمهم فى الأسرة و الحكم و فى تفكيرهم الذى غلب عليه نظريات و مبادئ أولئك ، فأصبحوا مغلوبين على عقولهم ، متبلورة أفكارهم بما يقذف به أعداؤهم

فصدق عليهم قول الله سبحانه (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) .

و أى نسيان للمرء نفسه أشنع من قبوله لمصادرة عقله ؟ لأنهم استسلموا لغير الله من كل ملحد وطاغوت فوقعوا فى الشرك المنافى لعبودية الله الصحيحة و المجانب لصراطه المستقيم فمرجت عقولهم وكان أمرهم فرطا فى كل ميدان .

و من شاهد أحوال الأمم المعرضة صراط الله فى هذا الزمان و المقلدين لها من أدعياء الاسلام و رآى ما هم فيه من قيل و قال و إضاعة للأموال وخضوع للنساء وعكوف على الشهوات عرف كيف أنساهم الله أنفسهم بما اجترحوا ، وتحقق سوء مآلهم بكونهم طعمة للفتن وعبيداً للمجرمين ، وعرف حكمة الله ولطفه بعباده حيث أرشدهم بعد تكرار العهد معه بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) إلى تكرار الضراعة إليه بقولهم (إهدنا الصراط المستقيم) .

و هو الذى لا عوج فيه ولا اشتباه ، من سلكه فهو معصوم من الضلال و الالتباس و من حاد عنه وقع فى كثير من المتاهات المهلكة له هلاكا معنوياً يعيش به فى رق معنوى لا يرتجى تحريره منه و سكر معنوى لا ترتجى إفاقته منه وسفه معنوى مطبق لا يرتجى معه رشد أبداً .

و على هذا فالعبد مضطر غاية الاضطرار دائماً إلى أن يهديه الله صراطه المستقيم حتى لا يقع فى هذه الأحوال التى وقع بها معظم البشرية فى هذا الزمان من أطاعوا سادتهم و كبراءهم فأضلوهم السبيل و من وقع فى شراكهم قسراً فحجبوا عنه الأنوار وجعلوه يتخبط فى ركام من ظلمات دجلهم وأوهامهم فقد وقعوا فى تيه معنوى أفظع من تيه بنى إسرائيل الحسى فى (سينا) .

فلما كان العبد مضطراً لهداية الله أرشده إلى الابتهال و الضراعة الصادقة

بالسؤال أن يهديه صراطه المستقيم و فرض عليه قراءة الفاتحة فى كل ركعة من صلاته لاشتمالها على هذا السؤال العظيم الذى تتوقف السعادة فى الدارين على حصوله ، و قد يقول قائل (إن المسلم قد اهتدى و عرف الاسلام وعمل به فكيف يكون محتاجاً إلى أن يسأل الهداية إلى صراطه فى كل ركعة و فى كل حال) .

والجواب أنه قد اهتدى هداية مجملة بأن الاسلام حق و الرسول حق و الدين حق و تشريعاته حق ، و لكن هذه الهداية المجملة تحتاج إلى هداية مفصلة فى كل ما يأتيه وما يذره ومايطرؤ عليه من الشؤون السياسية والاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية . . . . . هذا من جهة .

و من جهة أخرى فان العبد همام يتحرك بالارادة تتجدد حوائجه ورغباته و نزعاته فى تلك الشؤون جميعها ، و كذلك تجرى عليه أحداث فى نفسه و فى بيئته و خارج بيئته فلا بد له من التأثر بها إن لم يكن على بصيرة من أمره فكان فى جميع الأحوال محتاجاً إلى معرفة حكم الله و مرضاته فى جميع هذه الأمور ليفعل فى كل وقت ما أمره الله به ، و ينتهى فيه عما نهى عنه ، فهو محتاج فى كل وقت ، وكل شأن إلى أن يعلم ويعمل بما علم من فعل المأمور وترك المحظور و محبة ما يحبه الله من كل ما أحدثته الحركات السياسية أو أبرزته أو قذفت به الثقافة المعاصرة فيحب من ذلك ما يحبه الله و يعامله كما يطلبه الله ويبغض من ذلك ما يبغضه الله و يعامله بما يطلبه الله منه من البغض والعداة أوالمحبة والموالاة ، هكذا الحكمة من مشروعية الضراعة إلى الله بالهداية إلى صراطه.

و حاجة الانسان إلى سؤال ربه هذه الهداية حاجة ضرورية فى جميع

نواحى الحياة ليحصل بها على السعادة والنجاة ، فهو أحوج إليها من الرزق الذى ينقطع بالموت و هو مضمون له قبله لأنه إذا اهتدى كما يطلب الله منه كانت حياته خيراً و رشدا و نصراً له و لمن اتبعه وكان الموت أو القتل له من تمام النعمة لأنه إن مات كان موته موصلا له إلى السعادة الأبدية ، و إن قتل كان شهيداً حائزاً ما لا يحوزه غيره من صنوف النعيم المقيم بل بحصول الهداية له يكون محوطاً بأنواع النصر من الله فيعيش قائداً لامقوداً وسيداً لامسوداً ومرفوع الرأس لامرفوع الأرجل ، كما حصل لكثير من الشعوب المنحرفة عن صراط الله متبعة سبل البشر ومطمئنة لوعود شياطين البشر حتى أصبحت مرفوعة الأرجل منكوسة الرؤوس نكساً معنوياً و أكثرهم لا يشعرون لأنهم (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) .

و الصراط المستقيم هو السبيل الموصل إلى مرضاة الله و نيل وعده فى الدارين و لا يهتدى إليه إلا بمعرفة وحيه حق المعرفة و سلوكه حق السلوك ، و لذا فسروه بالاسلام وبالقرآن لأن طريق العبودية لا يمكن سلوكه إلا بتحقيق إسلام الوجه لله بصدق و إخلاص وفق مدلول وحيه من كتاب وسنة لأن من أراد الوصول إلى الله من غير طريق الاسلام و الوحى كان مفترياً على الله مغضوباً عليه من الله أو ضالا غاوياً أسوأ من حال البهيمة التى لا تميز بين الراعى والجزار ، ولهذا قال تعالى : (غير المغضوب عليهم و لا الضالين) و المغضوب عليهم كل مجانب للحق بغياً و عناداً كاليهود و من قلدهم أو سار فى أى خطة من خططهم و نحلة من نحلهم فانهم هم الذين أغروا ويغرون دائماً بالمادة و الطمع بالشهوة و الرئاسة فيؤسسون المذاهب المادية المختلفة المتناقضة

لبثوا فى الناس روح التنافر و الشقاق و يصرفوهم عن تعاليم الدين و تقديسه إلى تقديس الطين و عبادة المادة و الهوى و هم الذين ضربوا الأمة الفارسية بالمذهب المزدكى الشيوعى فى عهد الأكاسرة قبل الاسلام على يد (مزدك) اليهودى بتعليم وتحضيض منهم كما لبسوه فى هذا القرن على يد (كارل ماركس) وأتباعه من اليهود وهم الذين أولعوا الناس فى القديم بالقوميات المختلفة ووجهوهم إلى عبادة الأصنام المختلفة حتى سعوا فى عهد (خزاعة) إلى تبديل ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ و بجلب الأصنام و الخمور من (الأردن) على يد عمرو بن لحى الخزاعى .

و قد كان العرب قبل ذلك مسلمين على ملة إبراهيم لم يعرفوا شركاً و لا وثنية نعم إنهم كانوا مسلمين قبل أن يكونوا عرباً عكس ما يزعمه المصريون من القوم المنخدعين بأفراخ اليهود ، كما سنفصله عند تفسير قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم) من سورة الشعراء إن شاء الله و هم الذين نبشوا القوميات من جديد فى هذا الزمان و ساعدهم أفراخهم من ضلال النصارى و المنخدعين بهم و هم الذين أنشأوا البدع المختلفة فى الاسلام مبتدعين منها باستحقاق الخلافة النبوية و تأليه بعض آل محمد (ﷺ) و تقديس بعضهم بصنوف المفتريات ، ثم بتأسيس طرق و مذاهب فى التعبد و فى الالهيات حصل من جرائها فتن و محن عظيمة على المسلمين .

و لا يزالون يعيثون فى العالم بشتى أنواع التخريب الفكرى و العسكرى ، كما تشهد عليهم قرارات محافل ماسونيتهم و وصايا (حاخاماتهم) و تقارير حكامهم الملعونة مما ليس هذا موضع تفصيله .

الاهتمام باختيار وسائل القتال

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

لقد بين الرسول ﷺ أن وسائل القتال الحربية التى على المسلمين أن يعدوها و أن يكتسبوا القدرة و المهارة الفائقة فى استعمالها وقته القتال أن تكون ذات تأثير بالغ فى العدو ، ويجب استعمال السلاح المناسب فى الوقت المناسب ، و لذا لا بد من إعداد الأسلحة المتنوعة ، والقدرة على استعمالها بحسب الحاجة إليها فى المعركة بحيث تساعد على قهر العدو بأقصى ما يمكن من السرعة ، فمثلا إذا ما كان العدو المحارب بعيداً لا بد من استعمال السلاح الذى يقضى عليه فى ذلك البعد ، وكلما كانت المسافة التى يستطيع السلاح الوصول فيها إلى العدو أطول كلما كان أفضل من السلاح الذى يصل إلى مسافة أقصر وله نفس التأثير فى قهر العدو ، و كانت أداة القتال فى أيام الرسول و التى تستعمل لضرب العدو على مسافات طويلة هى السهام و لذلك حث الرسول ﷺ على استعمال هذا السلاح فى الحرب و التدرب على إتقان رميه ، وأما إذا كان العدو على مسافة رمح ، فكانت هناك وسيلة أخرى أفعل من الرمى بالسهام فى العدو وهى الرمح ، ومع فعالية الرمح وتأثيره فى قهر العدو إلا أنه لا يمكن استعماله إلا على مسافة قصيرة ، و عند الالتحام كان السيف أفعل و أقوى تأثيراً من الرمح فى قهر العدو و لكن لا يمكن استعماله إلا عند الالتحام .

ومما يروى عنه عليه الصلاة و السلام أنه اجتمع بفريق كبير من أصحابه ليلة بدر قبل أن يستنفرهم إليها و سألهم : « كيف تقاتلون ؟ » .

فقام إليه شاب من الأنصار قوى الايمان بربه ، مطيع لله و لرسوله ، قوى الجسم ثابت الجنان مجهزاً بكل معدات القتال التى يمكن للرجل المحارب أن يستعملها فى ذلك الوقت وهى السيف و الرمح و القوس و الكنانة ، و ذلك المؤمن المجاهد فى سبيل الله هو (عاصم بن ثابت الأنصارى) و وقف أمامه (أى أمام الرسول ﷺ) وقفة الجندى المستعد للقتال فى سبيل الله ، وأمسك القوس و السهم و قال : يا رسول الله ، إذا كان العدو على مأتى ذراع كان التراشق بالنبل (و رمى باحداها) .

ثم أمسك رمحه و أخذ يحركه بيد الخبير المجرب ، ثم قال : فاذا كان قيد رمح كانت المداعبة بالسنان .

ثم ركزه فى الأرض و استل سيفه و أخذ يقفز و يضرب الهواء كأنه يقارع خصمه و هو يقول : « حتى إذا التحم الجيشان و تلاقى الأقران ، و تواجهت الأبطال كانت المجالدة بالسيف ، حتى يظهرنا الله على عدوه »

فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت الحرب ، من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم » .

و روى الامام أحمد و مسلم و أبو داود و ابن ماجة عن عقبة بن عامر أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول و هو على المنبر : « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » : « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » .

و روى الامام أحمد و أهل السنن عن عقبة بن عامر أنه قال : قال

رسول الله ﷺ : « إرموا و اركبوا و أن ترموا خير من أن تركبوا » .

ومن هنا نرى أنه يحرم على المسلمين فى الوقت الحاضر عدم إعداد أقوى الأسلحة الفتاكة وعليهم أن يعدوها وأن يتدربوا على استعمالها لتكون لهم القدرة على قهر عدوهم و إرهابه كما أمرهم الله تعالى فى محكم كتابه العزيز .

رمى الرسول ﷺ بالمنجنيق :

فى حالة هجوم الجيش الاسلامى على عدوه ، قد يلجأ العدو إلى التحصن وراء جدر منيعة فيصعب على قوة المسلمين أن تؤثر فى العدو ، فيعود المسلمون غير مرهوبى الجانب ، و بما أنهم مأمورون بارهاب عدوهم فلابد لهم من استعمال وسائل القوة القتالية المؤثرة فى قهره ، و لابد من أن تبلغ قوة هذه الوسيلة حداً تستطيع تدمير الحصن التى يتحصن العدو وراءها .

تروى كتب السيرة أنه عند ماتوجه الرسول ﷺ لقتال أهل الطائف دخلوا حائطهم و أغلقوه و جعلوا يرشقون أصحاب الرسول ﷺ بالنبل ، و هنا نبه الرسول ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم أنه لا بد لهم من استعمال وسيلة قوة قتالية مؤثرة فى عدوهم ، وكانت الوسيلة المستعملة لهذا الغرض فى ذلك الحين هى الرمى بالمنجنيق ، و رمى رسول الله ﷺ أهل الطائف بالمنجنيق ، ويقال إن رسول الله ﷺ أول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق و أول ما رمى به أهل الطائف .

و من هنا نرى الاسلام يفرض على المسلمين إعداد جميع وسائل القوة الدفاعية منها و الهجومية و أن يكونوا ماهرين فى استعمال هذه الأسلحة بحيث يستعملون السلاح المناسب فى الظرف المناسب ، ليكونوا دائماً قاهرين لعدوهم

كما أمرهم بذلك ربهم .

فريضة التدرب على استعمال السلاح :

إن السلاح مهما كانت حدته ، ومهما كانت فعاليته فانه لا تأثير له بدون اليد الماهرة القادرة على استعماله ، و بدون النفس التى تطلب الموت كما تطلب الحياة بل يكون حرصها على الموت فى سبيل الله أشد من حرصها على الحياة و هذا لا يتم إلا بعقيدة راسخة ، و مما يزيد فى فعالية الأسلحة وفى شدة تأثيرها فى قهر العدو القدرة على وضع الخطط العسكرية الناجحة ، و لما كانت فريضة الجهاد فى سبيل الله ماضية إلى يوم القيامة لقوله ﷺ : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » و يجب أن يصل الجهاد حداً يستطيع فيه المسلمون إرهاب عدو الله وعدوهم لما كانت هذه الفريضة لاتتم بدون مقدمات كالقدرة على استعمال الأسلحة الفعالة لذا كان فرض على المسلمين أن يتدربوا على مختلف أنواع الأسلحة الفعالة كل بحسب قدرته ، بحيث تكون لديهم القدرة على استعمالها وقت الحاجة وبحسب الأوضاع التى يكونون فيها ، وكذلك لا بد لهم من أن تكون لديهم القدرة على وضع الخطط العسكرية الناجحة التى تساعد الأسلحة على أداء فعاليتها فى أحسن صورة ، و هذا لا يتم إلا عن طريق الكليات العسكرية التى يجب الاهتمام بها بل إن إنشاءها فرض على المسلمين ، لأن ما يتم به الفرض فهو فرض و إن التدرب على استعمال السلاح وغيره من مقدمات الجهاد فرض على المسلمين كفرض الوضوء للصلاة الذى لا تتم الصلاة إلا به .

و لقد كان الرسول ﷺ يشجع على الرماية و يبدو السرور عليه واضحاً حينما يرى المسلمين يتدربون عليها ، روى البخارى عن سلمة بن الأكوع أنه

قال : مر النبى ﷺ على نفر ينتضلون فقال : « ارموا بنى إسماعيل ، فان أباكم كان رامياً ، ارموا و أنا مع بنى فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال : ما لكم لا ترمون ، قالوا كيف نرمى و أنت معهم ؟ فقال : أرموا و أنا معكم كلكم » .

و لقد بين ﷺ للمسلمين أنه لا يحل لمسلم تعلم استعمال السلاح أن يتركه بعد التدرب على استعماله ، وإن كل من يفعل ذلك فانه يرتكب اثماً كبيراً يصل إلى حد الخروج عن حدود الاسلام ، روى مسلم عن أبى حماد أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » و فى رواية : و من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها .

كما بين رسول الله ﷺ أن من يرمى بسهم فى سبيل الله له ثواب كبير يصل إلى حد تحرير رقبته من النار . روى الترمذى عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رمى بسهم فى سبيل الله فهو له عدل محرره (قال الترمذى هذا حديث صحيح) .

و فى رواية « من رمى بسهم فى سبيل الله - بلغ العدو أو لم يبلغه كانت له عدل رقبة » (مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٢٨) .

لذا فقد بين عليه الصلاة والسلام أن اللهو باستعمال السلاح لهو مشروع يثاب عليه فاعله لما روى الترمذى عن عبد الرحمن بن أبى حسين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه و تأديبه فرسه و ملاعبته أهله فانهن من الحق » (قال الترمذى : حديث

حسن صحيح) .

و قال صلى الله عليه و سلم : « ستفتح عليكم أرضون ، و يكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » (مجموع فتاوى ابن تيمية ٩/٢٨ ، و المعلى ٣٥٣/٧) .

و قد نص الفقهاء على أن تعلم فنون القتال و استعمال الأسلحة يكون فرض كفاية ، و قد يكون فرض عين ، بحسب ما تقضى به أحوال الحرب و حالات المسلمين و أعدائهم ، و أنواع الأسلحة المختلفة .

فضيلة التدرب على استعمال و صيانة وسائل القتال الفعالة المتحركة :

لقد حض الاسلام على استعمال جميع الوسائل القتالية المؤثرة فى قهر العدو و الغلبة عليه ، و لقد حض الله تعالى الخيل بالذكر فى قوله تعالى : « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله و عدوكم ، و آخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، و ما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم و أنتم لا تظلمون » (سورة الأنفال الآية : ٦٠)

لقد خص الله تعالى الخيل فى هذه الآية و قرنها بالقوة التى فرض على المسلمين العمل على إعدادها لقهر أعداء الله وأعدائهم ، لأن فضلها - أى الخيل - كان عظيماً فى الحرب فى ذلك الوقت ، إذ أنها كانت أقوى عدة قتالية متحركة تساعد الفرسان على التحرك فى الميدان بقوة و بسرعة ، و تحفظ طاقاتهم من التبدد بسهولة فى الكر و الفر ، و المراوغة من وجه الخصوم لاتاحة الفرصة للانقضاض عليهم بعزم و قوة إذ أن الخيل بقوة اندفاعها تزيد من قوة اندفاع

ضربة الفارس الذى يركبها عند ما يوجه ضربته إلى خصمه ، فالخيل فى المعركة بمثابة الحصون التى يتحصن بها الفرسان أثناء جولانهم فى أرض المعركة بالاضافة إلى القوة التى تكسبها للفرسان ، و إتاحة المزيد لهم من المثابرة و الصبر على مقاومة الأقران و لذا فقد حث الرسول ﷺ على تعلم ركوب الخيل ، فروسية و جهاداً ، و على اقتنائها و الانفاق عليها ، و قد كان الرسول ﷺ يحبها و يركبها و يذللها .

قال الامام مالك عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، و لرجل ستر ، و على رجل وزر ، أما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله . فأطال لها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ، و لو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين ، كانت آثارها و أرواثها حسنات له . ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ، و لم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له فهى لذلك الرجل أجر ، و رجل ربطها تغنياً و تعففاً ، و لم ينس حق الله فى رقابها ، و لا ظهورها فهى له ستر ، و رجل ربطها فخراً و رياء و نواء فهى على ذلك وزر »

و روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله ﷺ « من احتبس فرساً فى سبيل الله ، إيماناً بالله و تصديقاً بوعده ، فان شبعه و ريه و روثه و بوله فى ميزانه يوم القيامة » .

ومن هنا يظهر ما للشركين فى سلاح الجو وسلاح الدبابات والمدرعات

و سلاح المدفعية فى أيامنا الحاضرة من ثواب عظيم عند الله إذا ما كانت نياتهم من العمل فى هذه الأسلحة خالصة لوجه الله تعالى بحيث يعملون على إعلاء كلمة الله ، و يتوقف ثواب العاملين على صيانة هذه الأسلحة على ازدياد بذلهم الجهود المخلصة الصادقة فى العمل على صيانتها والمحافظة عليها سليمة من كل عطب وتلف و على ابقائها باستمرار فى حالة جاهزة للاستعمال ، كما يتوقف ثواب المحاربين الذين يستعملونها فى المعركة على صدق نياتهم باستعمالها الاستعمال الصحيح الذى يساعد على قهر العدو و التغلب عليه .

فريضة صناعة الأسلحة الضرورية للقتال فى سبيل الله :

إن من مقدمات الجهاد فى سبيل الله التى لا يمكن أن يتم الجهاد إلا بها هو توفر مختلف أنواع الأسلحة ذات التأثير البالغ فى العدو فى الظروف و المناسبات المختلفة ، فى حالات الهجوم وحالات الدفاع ، فى البر والبحر والجو ، و بما أن كل ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض ، لذا فانه فرض على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم لتوفير ما يحتاجه الجهاد فى سبيل الله من أسلحة حتى يتم تنفيذ فرض الجهاد ويصبح المسلمون قوة يرهبها أعداء الله وأعداء المسلمين ، و بالطبع فانه لا يمكن أن يتيسر مثل هذا الأمر للأمة الاسلامية إلا بأن تقوم بانشاء مصانع الأسلحة و اتاحة المجال أمام أبناء المسلمين للقيام بالبحوث العلمية لتطوير هذه الأسلحة و العمل على زيادة فعاليتها حتى تكون الأسلحة التى يستعملها المجاهدون فى سبيل الله تزيد فى قوتها و فى حدتها و فى فعاليتها على الأسلحة التى يستعملها أعداؤها ، حتى يبقى المسلمون قاهرين لأعداء الله وتكون

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولأهمية صناعة الأسلحة فى تقوية الأمة جعل الله تعالى ثواب كل من يساهم فى صناعتها الجنة إذا كانت نيته من وراء صناعته هذه خالصة لوجه الله تعالى . ولقد حض الرسول ﷺ على صناعة الأسلحة التى كانت معروفة فى زمنه ، و بين أن أجر صانع الأسهم هو الجنة ما دامت فى سبيل الله ، روى أبو داؤد والترمذى أن رسول ﷺ قال : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله . و قال : « ارموا و اركبوا و لأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، و من ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه ، فانها نعمة تركها أوقال كفرها » وفى رواية الترمذى « والممد به » (قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح) .

و هكذا كما نرى فان ثواب صانع الأسلحة يعادل ثواب المجاهد الذى يستعملها فى قتال أعداء الله ، وكذلك فان من يعمل على صيانة السلاح وتجهيزه للاستعمال وإيصاله للمقاتلين بحيث يسهل عليهم استعماله له نفس ثواب المشتركين فى القتال .

لمحات من
حياة الامام صلاح الدين الأيوبى

فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف

قدمه القاضى بن شداد فقال : السلطان ، الملك الناصر ، جامع كلمة الايمان ، وقامع عبدة الصلبان ، رافع علم العدل و الاحسان ، صلاح الدنيا و الدين ، سلطان الاسلام و المسلمين ، منقذ بيت المقدس من أيدى المشركين ، خادم الحرمين الشريفين أبى المظفر يوسف بن أيوب بن شاذى سقى الله ضريحه ثوب الرضوان ، وأذاقه فى مقر رحمته حلاوة نتيجة الايمان .

كان مولده رحمه الله فى شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمس مأة من هجرة المصطفى ﷺ ، وذلك فى قلعة تكريت من أعمال العراق وكان والده أيوب بن شاذى رحمه الله والياً بها وكان كريماً أريحياً حليماً ، حسن الأخلاق . ثم اتفق له الانتقال من تكريت إلى الموصل ، وانتقل ولده المذكور معه وأقام بها إلى أن ترعرع وشب ، ثم اتفق لوالده الانتقال إلى الشام ، وأعطى بعلبك ، ونقل ولده صلاح الدين معه إلى بعلبك . وأقام بها فى خدمة والده يتربى تحت حجره ، ويرتضع ثدى محاسن أخلاقه ، حتى بدت منه أمارات السعادة ولاحت لوائح التقدم و السيادة . فقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه

الله تعالى و عول عليه و نظر إليه و قربه و خصصه ، و لم يزل كلما تقدم قدماً تبدو منه أسباب تقضى تقديمه إلى ما هو أعلى منه . ثم انتقل عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر . و ذهب معه إليها . يقول القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ وكان قاضى الجيش مع صلاح الدين .

كان رحمه الله عليه حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ عقيدته على الدليل ، بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم و أكابر الفقهاء . وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابورى عقيدة تجمع ما يحتاج إليه فى هذا الباب ، و كان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ فى أذهانهم فى الصغر . و رأيته و هو يأخذها عليهم ، و هم يلقونها من حفظهم بين يديه .

أما الصلاة : فانه كان رحمه الله تعالى ، شديد المواظبة عليها بالجملة . حتى أنه ذكر يوماً أن له سنين ما صلى إلا جماعة . وكان إن مرض يستدعى الامام وحده ، و يكلف نفسه القيام ، و يصلى جماعة . و كان يواظب على السنن الرواتب . و كان له صلوات يصليها إذا استيقظ فى الليل ، و إلا أتى بها قبل صلاة الصبح .

ولقد رأيته قدس الله روحه ، يصلى فى مرضه الذى مات فيه ، قائماً وما ترك الصلاة إلا فى الأيام الثلاثة التى تغيب فيها ذهنه . وكان إذا أدركته الصلاة و هو سائر ، نزل و صلى .

و أما الزكاة : فانه مات رحمه الله تعالى و لم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة .

وأما صدقة النفل : فانها استغرقت جميع ما ملكه من الأموال ، فانه ملك ما ملك ، و لم يخلف فى خزانته من الذهب و الفضة إلاسبعة و أربعين درهماً ناصرية ، و جرماً واحداً ذهباً . و لم يخلف ملكاً ، و لا داراً ، و لا عقاراً ، و لا بستاناً ، و لا قرية ، و لا مزرعة ، و لا شيئاً من أنواع الأملاك .

أقول : و لكنه صلاح الدين ، البطل العظيم ، و الجهبذ الكريم ، منقذ الأقصى ، و بطل حطين و حامى المسلمين من كيد المشركين ، وأين منه أصحاب الكنوز ؟ و هو رضى الله عنه فى قمة المجد و أرفع مقامات السعد ، و نرجو الله أن يجعله فى أعلى الدرجات و فى الغرفات مع أهل الجنات المعروشات .

وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم ، و يستجيد إمامه و يشترط أن يكون عالماً بعلم القرآن العظيم ، متقناً لحفظه . وكان يستقرئ من يحرسه فى الليل ، و هو فى برجه ، الجزءين و الثلاثة ، و الأربعة ، و هو يسمع . وكان يستقرئ و هو فى مجلسه العام من جرت عادته بذلك . الآية و العشرين ، و الزائد على ذلك . و لقد اجتاز على صغير بين يدى أبيه يقرأ القرآن . فاستحسن قراءته ، فقربه و جعل له حظاً من خاص طعامه و وقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة .

وكان رحمه الله تعالى خاشع القلب ، رقيقه ، غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن يخشع قلبه ، وتدمع عينه فى معظم أوقاته . كما كان رحمه الله شديد الرغبة فى سماع حديث رسول الله ﷺ و قراءته . وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالا لكلام رسول الله عليه الصلاة و السلام . و حباً فى كلام سيد المرسلين ، الذى كان يحرص على تطبيق أوامره ، أمراً أمراً ، و تنفيذ

أحكامه حكماً حكماً ، و التشرف و الأنس بسماع كلامه ﷺ ، و هو الحبيب إلى قلبه ، وهو ﷺ : قدوته ، وأسوته ، فى حربه وسلمه ، وفى أدبه وأخلاقه ، و عفوه و إحسانه .

قصة فى إخلاد صلاح الدين إلى الله

قال ابن شداد رحمه الله : إن الفرنج خذلهم الله كانوا نازلين ببيت نوبة ، وهو موضع قريب من القدس الشريف حرسها الله تعالى بينهما بعض مرحلة . وكان السلطان بالقدس ، و قد أقام يزكاً على العدو محيطاً به ، و قد سير إليهم الجواسيس والمخبرين ، فتواصلت الأخبار بقوة عزمهم على الصعود إلى القدس ، و محاصرته وتركيب القنابل عليه . واشتدت مخافة المسلمين بسبب ذلك . فاستحضر الأمراء وعرفهم ما قد دهم المسلمين من الشدة . وشاورهم فى الاقامة بالقدس ، فأتوا بمجاملة باطنها غير ظاهرها . وأصر الجميع على أنه لا مصلحة فى إقامته بنفسه ، فانها مخاطرة بالاسلام . وذكروا أنهم يقصدونهم . و يخرج هو رحمه الله بطائفة من العسكر يكون حول العدو ، كما كان الحال بـ «عكا» . ويكون هو و من معه بصدد منع ميرتهم والتضييق عليهم ، ويكونون هم بصدد حفظ البلد ، والدفع عنه . و انفصل مجلس المشورة على ذلك و هو مصر على أن يقيم بنفسه علماً منه انه ، إن لم يقم ، لم يقم أحد . فلما انصرف الأمراء إلى بيوتهم جاء من عندهم من أخبر أنهم لا يقيمون إلا أن يقيم أخوه الملك العادل ، أو أحد أولاده ، حتى يكون هو الحاكم عليهم و الذى يأتمرون بأمره . فعلم ، أن هذه إشارة منهم إلى عدم الاقامة .

و ضاق صدره رحمه الله ، وتقسم فكره ، و اشتدت فكرته ولقد جلست

فى خدمته فى تلك الليلة . وكانت ليلة الجمعة من أول الليل إلى أن قارب الصبح . وكان الزمان شتاء ، وليس معنا ثالث إلا الله تعالى ، ونحن نقسم أقساماً ونرتب على كل قسم بمقتضاه ، حتى أخذنى الاشفاق عليه ، والخوف على مزاجه ، فانه كان يغلب عليه اليبس ، فشفعت إليه حتى يأخذ مضجعه ، لعله ينام ساعة . فقال رحمه الله : لعلك جاءك النوم . ثم نهض ، فما وصلت إلى بيتى ، وأخذت لبعض شأنى ، إلا وأذن المؤذن . وطلع الصبح وكنت أصلى معه الصبح فى معظم الأوقات ، فدخلت عليه وهو يمر الماء على أطرافه فقال : ما أخذنى النوم أصلا . فقلت : قد علمت . فقال : من أين ؟ قلت : لأنى ما نمت ، وما بقى وقت للنوم . ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه . فقلت له قد وقع لى واقع ، وأظنه مفيداً إن شاء الله تعالى ، فقال : وما هو ؟ فقلت له : الاخلاد إلى الله تعالى ، والانابة إليه ، والاعتماد فى كشف هذه الغمة عليه . فقال : وكيف نصنع ؟ فقلت : اليوم الجمعة ، يغتسل المولى عند الرواح ، ويصلى على العادة بالأقصى ، موضع مسرى النبى ﷺ ، ويقدم المولى التصدق بشئ خفية على يد من يثق به ، ويصلى المولى ركعتين بين الأذان والاقامة ، ويدعو الله فى سجوده ، فقد ورد فيه حديث صحيح وتقول فى باطنك : « إلهى قد انقطعت أسبابى الأرضية ، فى نصرة دينك ولم يبق إلا الاخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبى ونعم الوكيل » . فان الله أكرم من أن يخيب قصدك . ففعل ذلك كله ، وصليت إلى جانبه على العادة ، وصلى ركعتين بين الأذان والاقامة ، ورأيته ساجداً ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ، ولا أسمع ما يقول ، فلم ينقض ذلك

اليوم حتى وصلت رقعة من عز الدين جرديك ، وكان على البزبك يخبر فيها أن الافرنج مختبطون . وقد ركب اليوم عسكرهم بأسره إلى الصحراء ، ووقفوا إلى قائم الظهيرة ، ثم عادوا إلى خيامهم وفى بكرة السبت جاءت رقعة ثانية ، تخبر عنهم بمثل ذلك . ووصل فى أثناء النهار جاسوس أخبر أنهم اختلفوا ، فذهبت الفرنسيسة إلى أنهم لابد لهم من محاصرة القدس ، وذهب الانكشار وأتباعه إلى أنه لا يخاطر بدين النصرانية ويرميهم فى الجبل مع عدم المياه . فان السلطان كان قد أفسد جميع ما حول القدس من المياه ، وأنهم خرجوا للشورة ومن عادتهم أنهم يتشاورون للحرب على ظهور الخيل . وأنهم قد نصوا على عشرة أنفس منهم وحكموهم فأى شئ أشاروا به لا يخالفونهم

ولما كانت بكرة الاثنين ، جاء المبشر يخبر أنهم رحلوا عائدين إلى جهة الرملة ، وهذا ما شاهدته من آثار استنباطه وإخلاده إلى الله تعالى رحمه الله . أقول : أين هذا من قادة اليوم ، وزعماء اليوم ؟ وبعض حكام اليوم الذين لا يذكرون الله ، ولا يعتصمون به ، بل يحاربون الله ورسوله ويقتلون المؤمنين بغير حق فكيف ينصرون ؟؟ إن الله الذى نصر صلاح الدين الذى أخلد إليه ، هو الذى خذل هؤلاء اليوم لأنهم نسوا الله فنسيهم وحاربوا الله فأذلهم .

دراسات وأبحاث

■ شيخ الاسلام ابن تيمية فى محبسه

■ الطلاق ، لماذا يجعله الاسلام حق الرجل ؟

شيخ الاسلام ابن تيميـــــــة فى محبسه

بقـــلم :
الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

تعريب :
سعيد الأعظمى الندوى

أشغال الشيخ فى القاعة : تمتع الشيخ بنعمة الهدوء و الخلوة فى القلعة بعد مدة طويلة ولعله كان قد أشار إلى ذلك بقوله : (فيه خير كثير، ومصلحة كبيرة) إنه قدر فرصة الخلوة و الانقطاع هذه حق قدرها وأقبل على العبادة والتلاوة بكل رغبة وانهماك بالغ، فاذا توفر له بعض الوقت من هذه الأعمال شغله بالمطالعة والتأليف ، وتنقيح كتبه ، الأمر الذى كان عبادة بنفسه ، غيرأن تلاوة كتاب الله كان أكبر وظيفة يشتغل بها ، إذ أنه ختم القرآن مع أخيه الشيخ زين الدين بن تيمية خلال الفترة التى قضاها فى هذا المحبس (وهى سنتان) ثمانين ختمة .

و جل ما ألفه فى المحبس كان يتصل بالتفسير ، و لعل إكثاره من تلاوة القرآن و التدبر فيه كان السبب فى ذلك ، كما أنه كتب الرسائل و الرد حول بعض المسائل ، وكان يجيب على كل ما يرد إليه من الخارج من الأسئلة العلمية و الاستفتاءات الفقهية ، وهكذا فقد كان مستمراً فى جميع أعماله وأشغاله سوى المواعظ والدروس العامة ، أضف إلى ذلك كثرة التلاوة والعبادة .

القيود الحديدة و حرمانه أدوات الكتابة و الدراسة : كان النـــاس يتلقفون كل ما كان يكتبه الشيخ فى المحبس ويصل من أقصى البلاد إلى أقصاها ،

و من بين ما كتبه الشيخ من الرسائل و المسائل فى حبسه رسالة حول مسألة الزيارة رداً على أحد قضاة المذهب المالكى فى مصر القاضى عبدالله الأخنائى (١) أثبت فيها أن القاضى المذكور رجل قليل البضاعة فى العلم فاشتكى القاضى بذلك إلى السلطان وأبدى سخطه و استنكاره فأصدر السلطان مرسوماً يصرح بمصادرة جميع ما عند الشيخ من أدوات الكتابة والكتب ، حتى لا يبقى عنده ما يستعين به فى التأليف و الكتابة .

و فى ٩/ جمادى الأخرى سنة ٧٢٨هـ نفذ المرسوم و صودرت جميع أدوات الكتابة و الدراسة من الشيخ باسم الحكومة ، وفى غرة رجب أرسلت جميع مسوداته و أوراقه من المحبس إلى مكتبة « العادلية ( ) » الكبرى و كان ذلك نحو ستين مجلداً من الكتب و أربع عشرة ربطة كراريس التى كان يشتغل بها دراسة و تأليفاً .

الكتابة و التأليف بالفحم : ولكن الشيخ لم يفزعه كل ذلك ، وما أبدى شكاة منه للحكومة ، و لما منع من الكتابة و أخذ منه القلم والدواة بدأ يكتب بالفحم على أوراق مبعثرة هنا وهناك ، وقد وجدت له عدة رسائل وكتابات مكتوبة بالفحم ، و ظلت محفوظة فى هذه الحالة ، إنه فى مثل هذا الاضطرار والعجز يبدو شاكراً و راضياً بقدر الله . إنه يشعر بأنه سيحرز بهذه الأحوال فضيلة الجهاد ، وكان الوضع لم يتغير مما كان عليه ، يقول فى رسالة له :

« نحن و لله الحمد فى عظيم الجهاد فى سبيله ، بل جهادنا فى هذا مثل

(١) اقرأ « الرسالة الاخنائية » طبع مصر .
(٢) ابن تيمية ، محمد أبو زهرة .

جهادنا يوم قازان و الجبلية ، و الجهمية و الاتحادية ، و أمثال ذلك ، و ذلك من أعظم نعم الله علينا و على الناس ، و لكن أكثر الناس لا يشكرون » .

الخنوع أمام قدر الله و عاطفة الحمد والشكر : ويتجلى فى رسالة أخرى شأن الخضوع أمام قدر الله و عاطفة الرضا و الشكر . يقول :

« كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير و الرحمة والحكمة ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو القوى العزيز العليم الحكيم ، و لا يدخل على أحد ضرر إلا من ذنوبه ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، و ما أصابك من سيئة فمن نفسك ، فالعبد عليه أن يشكر الله و يحمده دائماً على كل حال ، و يستغفر من ذنوبه ، فالشكر يوجب المزيد من النعم ، و الاستغفار يدفع النقم ، ولا يقضى الله للمرء من قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر ، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

إنه فى هذه الحال أيضاً متأكد من صحة مذهبه و براءته ، و يعتقد أنه ليس عليه ذنب سوى أنه لم يخضع أمام السلطان فى مسألة شرعية ، و ظل قائماً على ما كان يراه حقاً ، و لكنه يعترف بجريمته ، ويعتبر ذلك مقتضى الايمان و التوحيد ، يقول :

« غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين ، و المخلوق كائناً من كان إذا خالف أمر الله تعالى و رسوله لم يجب بل لا تجوز طاعته فى مخالفة أمر الله و رسوله باتفاق المسلمين » .

أيامه الأخيرة و وفاته : يقول الشيخ زين الدين عبد الرحمن شقيق شيخ الاسلام :

إنه لما بدأ يقرأ القرآن بعد ما أكمل ثمانين ختمة و وصل إلى هذه الآية من سورة القمر « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » تركنى وأخذ فى مدارسة القرآن مع الشيخ عبد الله بن محب وعبد الله الزرعى ، و كان الرجلان كلاهما فى غاية من الصلاح و التقى ، و شقيقين بينهما ، و ذلك لأن الشيخ إنما كان معجباً بقراءتهما القرآن ، وما كادت تنتهى هذه المدارسة إذ انتهت أيام حياته .

و لما بلغ نائب دمشق نبأ مرضه الأخير استأذن فى الدخول عليه ليعوده فأذن له ، فلما جلس أخذ يعتذر و يلتمس منه أن يعفو عنه إذا كان قد وقع منه تقصير أو أذى فى حقه ، فأجابه الشيخ :

« إنى قد أحللتك و جميع من عادانى و هو لا يعلم أنى على الحق ، وأحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه إياى ، لكونه فعل ذلك مقلداً معذوراً و لم يفعله لحظ نفسه ، و قد أحللت كل أحد مما بنى و بينه إلا من كان عدواً لله و رسوله ﷺ .

ظل الشيخ ابن تيمية مريضاً مدة تقارب ثلاثة أسابيع ، و لم يشف حتى وافاه الأجل فى ليلة ٢٢/ من شهر ذى القعدة سنة ٨٢٧هـ و ارتحل من هذه الدنيا و قد بلغ من العمر ٦٨ سنة « كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذى الجلال و الاكرام » .

و لقد ذكر بوفاة الشيخ مؤذن القلعة على المنارة و تكلم بها الحراس على

الأبرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم و بادروا على الفور إلى القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، و فتح باب القلعة واجتمع حشد عظيم من الخاصة والعامة يدخلون إليه أفواجاً ويزورونه ، و منهم من كان يقبل رأسه وناصيته التى كانت تحنك فى الأرض ساعات طوالا أمام ربه .

و بدأ الناس يختمون القرآن قبل غسله ، وأذن للنساء بعد الرجال فزرنه ، و لم يبق عند الغسل إلا من كان عليه أن يغسله .

حالة الجنازة و التدفين : و صلى عليه أولا بالقلعة ، تقدم فى الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام و أخرجت الجنازة بعد الصلاة و غصت الطرق كلها ما بين القلعة و المسجد بالناس حتى حضرت الجنازة فى الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك و وضعت فى الجامع ، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، و تزايد الزحام حتى لا يمكن تقديره ، و قد صاح بين هذا الزحام صائح يقول « هكذا تكون جنائز أئمة السنة » الجملة التى أثارت عواطف الناس .

و صلى عليه عقيب صلاة الظهر فى الجامع الأموى و قد تضاعف اجتماع الناس إلى أن ضاقت الرحاب و الأزقة و الأسواق بأهلها و من فيها ، وأغلقت الأسواق و المتاجر و المطاعم ، و قد نوى كثير من الناس الصيام إذ لم يكن هناك ضرورة إلى الطعام و الشراب .

ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤس و الأصابع ، و اشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء و النحيب و الترحم عليه و الثناء و الدعاء له ، و ألقى

الناس على نعشه مناديلهم و عمائمهم و ثيابهم ، و ذهبت النعال من أرجل الناس و قباقيبهم و مناديل و عمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظار إلى الجنازة وصار النعش على الرؤس تارة يتقدم و تارة يتأخر و تارة يقف حتى تمر الناس . . وعظم الأمر بسوق الخيل و تضاعف الخلق و كثر الناس ، و وضعت الجنازة هناك و تقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، وحمل إلى مقبرة الصوفية(١) حيث دفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله » .

وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتى و يصلى عليه ، ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، ويحزر الرجال الذين حضروا الجنازة ما بين ستين ألفاً إلى مائتى ألف عدا النساء فقدر عدد الحاضرات منهن خمسة عشر ألف امرأة عداً من كن على الأسطحة والغرف ولم يعهد مثل هذا الزحام فى تاريخ دمشق ، ويمكن أن يكون ذلك فى زمن بنى أمية حين كان

(١) هذه المقبرة التى هى مدفن كبار أهل العلم و الصلاح كابن العساكر ، و ابن الصلاح ، و ابن الأثير ، و أبى الحجاج المزى ، و الحافظ عماد الدين بن كثير وغيرهم إنما زالت آثارها تقوم عليها الآن عمارات شاهقة ، إلا أن قبر ابن تيمية لا يزال باقياً أمام قاعة الجامعة السورية و عمارة المستشفى ، و قد أتيحت لى زيارتها فى ١٠/ شوال عام ١٣٧٠هـ (٢٨/ يوليو ١٩٥١م) بصحبة عالم سوريا الكبير الشيخ بهجة البيطار ، و قد حدثنى الشيخ بأن هذه المقبرة نبشت فى إحدى الليالى بمناسبة تأسيس عمارة فى الجامعة السورية ، و لما انتشر الخبر فى الصباح أرسل الرئيس شكرى القوتلى إلى مدير الجامعة النصرانى ، و قال له : لو أن قبر ابن تيمية اندرس فماذا يكون جوابى للملك ابن سعود الذى هو صديقى و أخى، و هنالك أبقى قبر الشيخ ابن تيمية الذى لا يزال موجوداً لحد الآن .

الناس كثيرين وكانت دمشق دار الخلافة (١) .

صلاة الغائب على ابن تيمية : وصلى عليه صلاة الغائب فى معظم الأقطار الاسلامية حتى فى أقصى الجنوب و الشرق ، يقول ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة .

« و صلى عليه صلاة الغائب فى غالب بلاد الاسلام القريبة والبعيدة حتى فى اليمن و الصين ، و أخبر المسافرون أنه نودى بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة « الصلاة على ترجمان القرآن » .

ميزاته البارزة و خصائصه

ذاكرته الموهوبة و ذكاؤه النادر : إن المكانة الاجتهادية فى العلوم الاسلامية التى أحرزها شيخ الاسلام ابن تيمية فى عصره و إن التأثير العميق الذى خلفه على أهل زمانه لامامته فى التفسير والحديث معاً ، و تبحره ونبوغه فى العلوم إنما كان الفضل الأكبر فى ذلك يرجع إلى ذاكرته النادرة و ذكائه المفرط و كل ذلك نعمة أكرمه الله بها و موهبة اختصه بها ، و كانت العلوم الاسلامية قد توسعت فى عصره و تجمعت ذخيرة واسعة للعلوم النقلية بحيث لم يكن يستطيع أحد أن يحيط بها علماً و لا أن يتجرأ الكلام حول المسائل المختلف فيها أمام معاصريه الكبار ولا كان يملك حق الاختلاف مع عالم متقدم فى أى مسألة ما لم يكن يتمتع بذاكرة نادرة و ذكاء مفرط ، و لكن الذاكرة القوية وقوة الاستحضار التى كان قد أكرم الله بها ابن تيمية مكنته من الاحاطة

(١) كل هذه التفاصيل مما كتبه ابن كثير برواية الشيخ علم الدين البرزالى الذى كان من معاصرى الشيخ ابن تيمية وزميل دراسته، أنظر البداية و النهاية ج ١٤ ص ١٣٦ - ١٣٩ .

بالذخائر الموجودة آنذاك من التفسير و الحديث و الفقه ، و أصوله ، و علم الخلاف و الكلام و التاريخ و السير و الآثار و علم الرجال و اللغة و النحو ، فقد درس كل ما تيسر له من الكتب و المواد العلمية التى وعتها ذاكرته القوية الأمينة ، و استعان بها فى حياته العلمية و التأليفية كما يستعين الجندى المحنك بذخائر كناناته .

كان معترفاً بذاكرته النادرة القوية و ذكائه البارز لدى معاصريه من العلماء و قد اتفق المعاصرون و المتأخرون كلهم على قوة حفظه و سرعة فهمه و شدة ذكائه ، يقول زميله فى الدراسة العلامة علم الدين البرزالى « قل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، وكان ذكياً كثير المحفوظ (١) » ، و يقول الحافظ الذهبى الذى يعتبر من أئمة علم الرجال ومؤرخ الاسلام « مارأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه ، وكانت السنة بين عينيه و على طرف لسانه (٢) » .

و من أكبر الشهادات على حفظه للمتون و قوة ذاكرته هو قول معاصريه فيه : « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ، ولا يخفى أن حفظ ذخائر الحديث الواسعة العظيمة إنما كان من الصعوبة بمكان ، و لكن الاعتماد على علمه و ذاكرته وحدهما فى موضوع الحديث و الحكم على أساس قوله لا يمكن مالم يعترف بأنه أكبر حافظ للحديث فى عصره ، و أن قوة حفظه لا تخونه فى أى حال و لا مجال ، يقول الحافظ الذهبى : يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث (٣) » .

(١) الرد الوافر ص ٦٦ . (٢) القول الجلى ص/١٠١ .
(٣) الكواكب الدرية ص/١٤٥ .

و حتى قال بعض معاصريه « لم يولد مثله منذ قرون » و هذا معاصره العلامة كمال الدين الزملكانى الذى كان خصمه فى مجالس المناظرة و كان بينه وبين ابن تيمية خلاف كبير فى كثير من المسائل يشهد بصفته الموهوبة هذه فيقول : « لم ير من خمس مأة سنة أو قال أربع مأة سنة ـ والشك من الناقل ـ أحفظ منه (١) » .

و يتحدث عن ذكائه المفرط الحافظ الذهبى فيقول :

« كان يتوقد ذكاءً » ، و يقول فى مكان آخر « كان آية من الذكاء وسرعة الادراك (٢) » .

التبحر العلمى و الجامعية : لقد تبحر ابن تيمية فى العلوم الاسلامية و الموضوعات المعاصرة وتمتع بصفة الجامعية فى هذه العلوم والفنون بفضل ذاكرته الموهوبة و ذكائه النادر و ذوقه العلمى الذى ورثه من آبائه ، ثم بجهوده البالغة و المشاق التى احتملها فى سبيل دراسته ، و بفضل التوفيق الالهى قبل كل شئ بحيث إن معاصريه الكبار الذين كانوا يكبرونه فى السن وكانوا أساتذة الفن و رجال العلم المعترف بهم فى الأوساط العلمية و الدينية قد قضوا من هذه الصفات عجباً ، و شهدوا أنه بحر العلوم ومكتبة الاسلام الناطقة وله فى كل فن براعة يبدو أنه يختص به ، و لما سافر ابن تيمية إلى مصر فى عام ٧٠٠هـ و التقى هناك العلامة ابن دقيق العيد أعجب به على ما كان يحتله من المكانه العليا فى علم الحديث و يعتبر أستاذ العلماء و كبيرهم ، و قد عبر العلامة عن إعجابه بابن تيمية

(١) الكواكب الدرية ص/١٤٥ .
(٢) الرد الوافر ص/ ٢٩ .

فقال : « لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا ، العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد (١) » .

ويبدى عجبه من ابن تيمية زميله العلامة كمال الدين الزملكانى الذى كان عالماً متبحراً بنفسه فى كثير من الفنون فيقول :

« كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً لا يعرف مثله (٢) » .

أما العلامة تقى الدين السبكى الذى هو خصمه الشهير ، وألف فى الرد عليه حول مسألة شد الرحال وبعض المسائل الفقهية كتباً مستقلة بذاتها ، وأبدى رأيه عنه فى النظم أيضاً ، فانه بالرغم من ذلك يقول فى رسالة له باسم الحافظ الذهبى :

« المملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه فى العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه فى كل ذلك المبلغ الذى لا يتجاوزه الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً (٣) » .

إن التاريخ لم يكن مما اختص به ولا أنه جعل التاريخ موضوعه ولكن الذهبى المؤرخ الناقد يتحدث عن معرفته بالتاريخ فيقول : « ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب » .

وقد نقل تلميذه النابغة ابن قيم الجوزية حادثاً مدهشاً عن علمه بالتاريخ وسعة نظره وحضور ذهنه فى كتابه « زاد المعاد » إنه يقول :

(١) الرد الوافر ص ٣١ . (٢) أيضاً ص ٣٠ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (ترجمة العلامة تقى الدين السبكى) .

« ولما كان فى بعض الدول التى خفيت فيها السنة وأعلامها أظهر طائفة منهم كتاباً قد عتقوه وزوروه . وفيه أن النبى ﷺ أسقط عن يهود خيبر الجزية ، وفيه شهادة على بن طالب وسعد بن معاذ وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فراج ذلك على من جهل سنة رسول الله ﷺ ومغازيه وسيره . وتوهموا بل ظنوا صحته ، فأجيزوا على حكم هذا الكتاب المزور حتى ألقى إلى شيخ الاسلام ابن تيمية (قدس الله روحه) وطلب منه أن يعين على تنفيذه والعمل عليه ، فبصق عليه واستدل على كذبه بعشرة أوجه :

منها أن فيه شهادة سعد بن معاذ وسعد توفى قبل خيبر .

ومنها أن فى الكتاب أنه أسقط عنهم الجزية ، والجزية لم تكن نزلت بعد ، ولا يعرفها الصحابة حينئذ فان نزولها كان عام تبوك بعد خيبر بثلاثة أعوام .

ومنها أنه أسقط عنهم الكلف والسخرية ، وهذا محال فلم يكن فى زمانه كلف ولا سخر توخذ منهم ولا من غيرهم ، وقد أعاذه الله وأعاذ أصحابه من أخذ الكلف والسخر ، وإنما هى من وضع الملوك الظلمة ، واستمر الأمر عليها .

ومنها أن هذا الكتاب لم يذكره أحد من أهل العلم على اختلاف أصنافهم فلم يذكره أحد من أهل المغازى والسير ، ولا أحد من أهل الحديث والسنة . ولا أحد من أهل الفقه والافتاء ، ولا أحد من أهل التفسير ، ولا أظهروه فى زمان السلف لعلمهم أنهم إن زوروا مثل ذلك عرفوا كذبه وبطلانه(١) » .

ويمكن تقدير ذكائه وتبحره العلمى بما حدثه أحد معاصريه الشيخ صالح

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٣٣٦ فصل فى هدى النبى ﷺ فى عقد الذمة وأخذ الجزية .

تاج الدين محمد ، إنه يقول :

« حضرت مجلس الشيخ رضى الله عنه و قد سأله يهودى عن مسألة فى القدر و قد نظمها شعراً فى ثمانية أبيات ، فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة و أنشأ يكتب جوابها . و جعل يكتب و نحن نظن أنه يكتب نثراً ، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فاذا هو نظم من بحر أبيات السؤال و قافيتها ، تقرب من مأة و أربعة و ثمانين بيتاً ، و قد أبدى فيها من العلوم ما لو شرح لبلغ مجلدين كبيرين (١) » .

ولما رأى المعاصرون من العلماء والمتأخرون منهم تبحره فى العلوم وجمعه للصفات العالية و الميزات البارزة لم يلبثوا أن وصفوه بأسمى الصفات . فاعتبروه نادرة الزمان ، إمام المحققين ، آخر المجتهدين ، وآية من آيات الله ، حتى يقول ابن سيد الناس (المتوفى عام ٧٣٤هـ) « لم ترعين من رأه مثله و لا رأت عينه مثل نفسه (٢) » ، و لم يملك الحافظ شمس الدين الذهبى ذلك المؤرخ الكبير و الناقد البصير إلا أن يصفه بقوله :

« لوحلفت بين الركن والمقام لحلفت أنى ما رأيت بعينى مثله ، ولا والله رأى هو مثل نفسه فى العلم » .

(١) الكواكب الدرية ص ١٥٤ . (٢) أيضاً .

الطلاق ، لماذا يجعله الاسلام حق الرجل ؟

الأستاذ السيد أحمد القادرى
مدير مجلة (زندكى) الشهرية - رامفور - الهند

تعريب:
الأخ نور عالم الأمينى

إن قضية تفرد الرجل بحق الطلاق من القضايا التى ينص عليها الكتاب و السنة ، و يؤكدها إجماع الأمة كلها .. و معنى تفرد الرجل بحق الطلاق أن الرجل هو الذى يملك حق طلاق امرأته وهى لا تطلقه . ولا يزال المستشرقون يعيبون على الاسلام هذا الصنيع ، و كذلك المسلمون المذعورون المتطلفون على موائدهم .

يقولون : إن منطق الاسلام عجيب ! إنه يدعو إلى المساواة الانسانية فى ناحية ، ويغمض عينيه عن المرأة فيجعل حق الطلاق بيد الرجل وحده فى ناحية أخرى ، و أنى ذلك من المساواة ؟!

و ها أنا ذا أطرح عليهم نقاطاً عديدة فليتبصروا فيها و ليتأملوا :

١- صحيح أن الاسلام يدعو إلى المساواة الانسانية ، ولكن معناه أنه لا يفرق بين إنسان و إنسان بالجنس و الدم ، و اللغة و اللون ، فالاسلام لا يفضل أبداً أى رجل أو جماعة على أساس الانتماء إلى ذلك الجنس والدم ، و إلى تلك اللغة واللون ، ولا يفرض له على هذا الأساس حقوقاً ولا يقطع له حظوظاً ، كل إنسان فى الكون فى نظره ليس إلا من ذرية الزوج الانسانى الأول - آدم وحواء - وعلى ذلك فكل فرد من أفراد البشر سواء ، لا فضل لأحد على آخر . فكرة

المساواة الانسانية التى يعتنقها الاسلام لم تقتض قط - ولن تقتضى - أن تصرف نظرها عن الفروق بين إنسان و إنسان فى الأوصاف و الميزات المتنوعة ، و الأخلاق و السلوك ، و الكفاءات و المؤهلات ، بل و إن الاسلام يعترف كل الاعتراف أن هناك فروقاً أخرى كثيرة ، فهذا مؤمن و هذا كافر ، وهذا موحد و هذا مشرك ، و هذا صالح و ذاك فاسق ، و هذا سيئ الأخلاق و السلوك ، و ذلك حسن الأخلاق و السيرة ، و هذا غادر و ذلك وفى ، و هذا عاص و ذاك مطيع .

وعلى ذلك فنى القضية المطروحة ليس معنى المساواة الانسانية أن الاسلام لا يعترف بالفروق الطبيعية بين هذين الجنسين المتعاكسين - الرجل و المرأة - فيجعلهما متساويين فى كل شئ و من كل ناحية ، و إن مثل هذه المساواة الانسانية - المساواة بين الرجال و النساء فى كل شئ - لم يقل بها الاسلام قط ، ولذلك فقد فرق بينهما فى بعض الحقوق و الواجبات التى سيجد القارئ تفاصيلها فى الكتاب و السنة ، و الاجماع و تعامل الأمة الاسلامية ، ثم إنه منح المرأة فى المجتمع البشرى من منازل الكرامة والتقدير ومن الحقوق والحظوظ مايتعذر نظيره عند غيره . فمهما يمكن أحداً أن يعترض على أن الاسلام لا يساوى بين الرجال و النساء فلا حق له أن يقول : إن الاسلام يبنى فكرة المساواة الانسانية فى ناحية و يجعل حق الطلاق بيد الرجل وحده فى أخرى ، فان مثل هذا الترثار يدل بطريق مباشر على الجهل بفكرة المساواة الانسانية لدى الاسلام .

٢— و لينظر هؤلاء إلى عقلاء الغرب وخبرائه فى القانون ، الذين يصرخون بمساواة النساء مع الرجال والذين يعيبون الاسلام على إعطائه الرجل حق إيقاع

الطلاق ، هل جعلوا أمر الطلاق بيد المرأة ؟ كلا !! فانهم اتخذوا للتسوية بينهما تدبيراً ثالثاً حيث انتزعوا من الرجل حق الطلاق وجعلوه بيد القضاة فى المحاكم فكيف يسوغ لهؤلاء أن يعترضوا على الاسلام باعطائه الرجل حق الطلاق إذ لم يعطوه المرأة كالرجل سواء بسواء ، على أن هذا التدبير الذى اتخذوه للمساواة بين الرجال و النساء لقد ضاعف الظلم و غمط الحقوق والفوضى فى المجتمعات و العائلات فضلا عن مكافحتها . و القضاء عليها .

٣— و لنسائل هؤلاء — الذين ينادون بالمساواة بين الرجال و النساء فى كل شئ — أن السكن وأداء المهر لماذا يتحملهما الرجال وحدهم ؟ ولماذا تقع مسئوليات الأولاد الذين ستنجبه المرأة على الرجل ؟ و إنى واثق كل الثقة بأنك لا تكاد تجد لديهم أى دليل حكيم لهذه المساواة غير العادلة . و إلا فليأتوا به ! وإنهم لا يكتفون بهذا القدر من « عدم المساواة » فيلقون على الرجل - المطلق - مسئولية نفقة المرأة - المطلقة - لطول الحياة أو على الأقل إلى الزواج الثانى ، فلماذا هذا « العدل » مع الرجال وحدهم ؟ و أنى هذا « العطف » عليهم من دعوى المساواة الكاملة بين الرجال و النساء ؟!

٤— و نعود فنقول بجد صرامة إن هناك دواعى كثيرة دعت الاسلام إلى جعل حق الطلاق بيد الرجل ، من بينها أن الرجل أضبط أعصاباً وأكثر تحملا وصبراً ، وأبلغ تقديراً للنتائج ، و أدق نظراً للعواقب بكثير من المرأة ، ثم هو أقدر على تحمل المشاق ، و مقاومة الظروف و الأوضاع المقلقة و الموئلة ، ولذلك فجعل الاسلام الطلاق بيد الرجل وحده ، ولو أعطى هذا الحق للمرأة كذلك لرأينا قضايا الطلاق أضعاف ما نراه الآن ، ولتفككت روابط المجتمعات

و العائلات ، و يدل على ذلك تلك التجربة التى جربناها فى أوربا و أمريكا ، على أن المرأة ليست هناك حرة مختارة فى إيقاع الطلاق ، وقد بلغ الأمر من الوقاحة إلى أن المرأة تتقدم بطلب الطلاق إلى المحكمة لأن زوجها يغط فى النوم بصوت عال يزعجهـــا ، فعـــاد الزواج و الطلاق فى أوربا و أمريكا ألعوبة لا قيمة لها

و أيضاً فان الرجل هو الذى يتحمل المهر و النفقة و السكنى و صنوف الواجبات المالية لا المرأة فلو جعل أمر الطلاق بيد المرأة لتأخذ تطلق زوجها على أمور تافهة — بحكم سرعة غضبها و ثورتها و عدم ظرها فى العواقب — ثم تتسال بمبالغ المهر وبما وهبه الرجل من الأشياء النادرة الغالية ، تذهب بهذا كله كغنيمة باردة ، ثم تستمتع من جديد بالمهر و الزوج و البيت ، و أنواع النعم وأسباب الرفاهة والأموال . وأما الرجل فيعود خاسراً ، ضارباً كفه على كف أخرى ، شقياً بأداء المهر و كفالة المرأة خلال فترة عدتها وبالخسارة التى لحقته من طريق الأشياء و الهدايا التى أهداها إليها ، و من الواضح جلياً أن ذلك اعتداء صريح على الرجل وغمط لحقوقه فى ضوء النهار ، فكيف يرضى به الاسلام ، و هو يود العدل مع كل من الرجل و المرأة .

و الرجل لا يقدم على الطلاق إلا مقدراً لجميع هذه الخسارات ، كما أنه لا يطرق باب الطلاق أيضاً إلا حينما تعيى حيله عن إصلاحها وتذهب تدابيره أمام نشوزها و إعراضها و مكرها ودسائسها سدى .

و الذين يؤمنون بالله و بعلمه و سمو حكمته يكفيهم أن الحكيم العليم الذى يعلم بمصالح الصنفين — الرجل و المرأة — و الذى لا يتصور فى علمه نقص

و لا خلل ، هو الذى أعطى الرجل حق الطلاق و المرأة حق الخلع .

اعتراض و جوابه :

و إن هناك بعضاً من المسلمين المتغربين يعيبون على قانون الاسلام للطلاق أن الاسلام منح الرجل حق الطلاق فى غير عذر كذلك ، و لذلك فكثير من الرجال يحطمون قوائم حياة المرأة بطلقات ثلاث . فها أنا أذكر عدة أمور ، رداً على الايراد المذكور .

١— إن دراسة الكتاب و السنة لتدل دلالة واضحة على أن الشريعة الاسلامية لم تسمح بالطلاق إلا كتدبير نهائى حينما تعيى الحيل ، وتعجز التدابير الأخرى ، على أن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام تعده « أبغض المباحات » كما أن القانون الاسلامى يعد المطلق بطلقات ثلاث فى مرة واحدة آثماً ، و إن ثبت أن هناك رجالا يطلقون نساءهم من غير عذر أو مبرر فانما هم يسيئون استعمال حقوقهم ، كما أن الذين يطلقون ثلاثاً فى مجلس واحد يقترفون إثماً ولا شك ، فما لهم و للشريعة الاسلامية ؟

٢— أما دعوى أن الرجال يطلقون نساءهم بدون عذر ، فهى بدورها تحتاج إلى التمحيص و التحقيق ، فان الطلاق بدون عذر شئ ، و الاخبار بالعذر شئ آخر ، وإن المطلع على كيفية العلاقة الزوجية يعرف جيداً أن هناك كثيراً من الأوضاع الناشئة ، لا يكون فيها إخفاء العلة أمراً حكيماً فحسب ، بل يعد من العمل الجليل الشريف ، فيمكن فى صورة إخفاء العلة أن يظن ظان أن هـذا الطلاق من غير مبرر ولاعذر ، على أن هناك كثيراً من دواعى الطلاق لايكاد المتجددون يعتبرونها من أسباب الطلاق بينما نعتبرها نحن من الأسباب الداعية

للطلاق ، وأضرب لذلك مثلا : إن هناك امرأة لاتصلى الصلوات الخمس ، ولاتكاد تستعد لها رغم محاولات الزوج وتدابيره ، فذلك ما يبرر للرجل أن يقطع عنها علاقة الزوجية .

٣ــ ومما لا شك فيه أن كل ما يقع من قضايا الطلقات الثلاث فى مجلس واحد ، أكبر عامل فيه هو الأمية والجهالة ، فان الأميين لا يكادون يعرفون ما هو الطريق الصحيح للطلاق ، و لقد فشت فيهم نظرية خاطئة ، و هى أن الطلاق لا يمكن إلا ، بتكرير كلمة « الطلاق » ثلاث مرات ، ثم إن بعض الآذان حملت إلينا أن من بين هؤلاء المسلمين من يشيرون على أولياتهم أنهم إذا حاولوا أن يطلقوا فليطلقوا طلقتين أوثلاثاً ، فانه لافائدة فى طلقة واحدة ، وربما يكون السبب فى الطلقات الثلاث مرة واحدة أن الأعم الغالب الواقع فى باب الطلاق أن المطلق إنما يطلق غاضباً ثائراً لايكاد يتملك لسانه فيستمر فى قوله : « طلاق ، طلاق ، طلاق » . كأنه لا يعى و لا يشعر ، كما أن بعضاً من المتمردين إذا ما أخذهم الغضب يجوزون الحد ، فيرتكبون القتل .

و مهما كانت الطلقات الثلاث ، وأياً كانت علتها ــ الأمية أو الجهالة ــ ومهما قلت نسبتها فى المأة ، فمما لاشك فيه ، أنها تقع من أجلها وقائع مؤلمة مزعجة ، وطالما تكون قتالة فاتكة ، فما هو العلاج ؟ و أين الدواء ؟

وهناك تدبير تتخذه أوربا وأمريكا ويتحمس له علماء القانون من المسلمين المعجبين بقوانين أوربا و أمريكا ، و هو أن ينتزع من الرجل حق الطلاق ، ويفرض عليه الحدود حتى لايطلق بدون أخذ السماح من قاض من قضاة المسلمين أومن هيئة إصلاح ذات البين ، وإن هذا التدبير لخاطئ ناقص لأسباب كثيرة ، ولايسوغ

لأى مسلم أن يقتنع بذلك .

(ألف) إذا ما أساء بعض الناس استعمال حقوقهم فليس من المعقول أبداً أن نصب هذه الاساءة على تلك الحقوق نفسها ، فننتزعها من جميع الأفراد ، إن ذلك لخطأ خطير ، و عمل غير حكيم ، لا يقتنع به أى إنسان فى الكون ولا يعمل به . . فكم من أناس لهم حقوق ونفوذ فى أنواع من نواحى الحياة ، ولكن قل من يكون يحسن استعمالها و وضعها فى موضعها ، و لا يعاكس ذلك أبداً ، وكم من رؤساء الوزراء و القضاة يسيئون استعمال حقوقهم و نفوذهم إلى من دونهم .

و لنسائل المسلم المزعوم ــ أعنى « القاضى الفاضل » الذى زعم قانون الاسلام للطلاق متعسفاً غير عادل ، فاقترح علينا بوضع الحدود ــ ألم يسيء استعمال حقه ولو مرة ؟ كيف وقد أساء استعماله حينما اعتبر القانون الاسلامى للطلاق غاشماً ناقصاً جانياً ، إن هذا أبشع نظير لمن يسيء استعمال حقوقه ، فهل يرضى « سيدنا » القاضى أن ننتزع حقوقه ، بل و حقوق جميع القضاة فى العالم ؟ و إننا لو رحنا ننتزع الحقوق عل أساس إساءة استعمالها لما بقى على وجه الأرض أحد له حق أو نفوذ فى شئ .

(ب) والذين يحاولون انتزاع حق الطلاق من الرجل ، يقولون : لوجعلنا أمر الطلاق بيد المحكمة لتنخفض به نسبة قضايا الطلاق فى المأة ، وكم من العائلات و البيوتات تسلم من التفكك و الانحلال ، ثم كل من الرجل و المرأة إذا ماتدعوه الحاجة إلى قطع العلاقة الزوجية فليتقدم هو بطلب الطلاق إلى المحكمة . . و لقد دلتنا التجربة دلالة واضحة على أن هذا التدبير لم يعد إلا بفشل ذريع

وهزيمة منكرة . ولم يختلف الأمر فى أوربا و أمريكا أو فى أى مكان من الأمكنة ، فحيثما نفذ هذا القانون تضاعف عدد الطلاق وقضاياه بدلا من انخفاض نسبته فى المأة — و لا يزال يزداد — وكم من الأسر والعائلات تفككت عراها فأصبحت المرأة هناك تحاول التخلص من الزواج ، ولقد نشرت مصلحة الاحصاءات فى بريطانيا تقريراً لسنة ١٩٦١م إلى سنة ١٩٧١م ، يدلنا على أن العلاقات الزوجية التى انقطعت بفضل الطلاق ارتفع مستواها فى السنوات العشر من ١٥ ألفاً إلى ٧٧ ألفاً و هذه الزيادة فى الطلاق بفضل التعديل فى القانون الذى يتعلق بالطلاق ، و أما المسلمون من أى بلد كانوا فان قضايا الطلاق فى مجتمعاتهم أقل بكثير من أوربا و أمريكا .

و عجباً لهؤلاء الذين يحاولون أن يجعلو القانون الاسلامى ، للطلاق نحو قانون الطلاق فى أوربا ، فانهم يقرأون ويشاهدون كل هذه الوقائع ثم لايندمون حينما يعتبرون القانون الاسلامى للطلاق و الخلع باليا ناقصاً بل و بربرياً ، ليس كل ذلك من العطف على المجتمع الاسلامى و لا على المرأة المسلمة ، بل وذلك اعتداء صريح على كليهما .

(ج) وهذا التدبير لن يقتنع به المسلمون لأن المحكمة العليا Supreme Court عندهم — هو الله الواحد القهار — التى يخضعون لحكمها قد أعطت الرجل حق الطلاق و المرأة حق الخلع

(ه) أما الذين يطلقون ثلاثاً فى مجلس واحد فلكى نضع عليهم الحد يجب أن نعمل بالتدابير التالية :

١ — إن هناك ألواناً من التدابير تتخذها لتعليم الجماهير من المسلمين أحكام الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة — فمثلا نعقد مجالس الوعظ و الارشاد ، و نستخدم الصحف و الجرائد و المجلات ، و ننشر الرسائل والكتيبات ، فيمكن كذلك أن تستعمل هذه الأساليب و ما إلى ذلك لتعليم المسلمين و تفهيمهم أحكام الطلاق و الخلع ، و لننشر بين المسلمين أن الطلقات الثلاث مرة واحدة أبغض شئ عند الله و رسوله عليه الصلاة و السلام ، فلنتحاش عنه إلى حد ممكن ، ثم ما دام يمكن الانفصال من المرأة بطلاق واحد ، فان التطليق بالثلاث مرة واحدة عمل غير حكيم ، و لا ينحصر ضرر ذلك بين الرجل و المرأة فحسب ، بل و يتعدى إلى أسرتيهما كذلك .

ثم يجب أن نلفت أنظار المسلمين إلى أن المرأة ليست بخادمة و لا جارية فى أيدينا ، كما يجب أن نعلم المرأة أن الاسلام فرض عليها طاعة الزوج فيما يجوز عند الشرع ، فلتركز عنايتها على هذا الجانب .

و إنى على ثقة بأننا لو نشرنا هذه التعاليم بين المسلمين كالصلاة و الصوم والحج وسائر العبادات لتنخفض نسبة قضايا الطلاق أكثر مما نراها عليه الآن .

في رياض الشعر والأدب

الأستاذ واضح رشيد الندوى

طبيعة الشاعر و شاعر الطبيعة !

كان الشاعر منذ أن وجد نقد الشعر موضوع النقاش الذى تختلف فيه الآراء هل هو ممثل نفسه أو المجتمع الذى يعيش فيه وهل يجب أن يصور واقع الحياة أو يعبر عن مختلجات القلب و هواجس النفس و العواطف ، سواءً كانت هذه العواطف منبعثة عن أحاسيس التفـاؤل ، و الأمانى . أو التشاؤم و خيبة الأمل ، و لذلك اختلفت الآراء على وجوب صدق الشاعر فى كلامه و على عدم ارتباطه بمثل هذه القيود فقال ابن قدامة فى نقـد الشعر ، و هو يبحث تهمة التعارض فى بعض أشعار امرىء القيس :

« إن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً ، بل إنما يراد منه إذا أخذ فى معنى من المعانى كائناً ما كان أن يجيده فى وقته الحاضر ، لا أن لا ينسخ ما قاله فى وقت آخر(١) » .

لقد صور ابن قدامة فى هذا الدفاع عن امرىء القيس الشاعر تصويراً صادقاً ، فان الشاعر إذا تقيد بالقواعد التى تنطبق على النثر فانه يخرج عادة عن مجال الشعر الطبيعى ، و نبحث هنا ما كتبه المتأخرون عن الشعر و الشعراء .

يقول ابن خلدون : « إن للشعر موضوعات يحسن فيها ، حيث لايحسن

(١) نقد الشعر .

النثر كالمديح والهجاء ، والرثاء ، وهناك موضوعات يحسن فيها النثر حيث لايحسن الشعر ، كالمكاتبات الرسمية الصادرة عن السلاطين و الخلفاء ، فان الشعر فيها يسمج ، و كذلك ما يشبه الشعر كالكلام المسجوع و غيره ، فان ذلك يقلل من جلال المكتوب عنه و له » .

و قال : إن الاجادة فى الكلام المرسل أصعب منها فى الكلام المسجوع لأن الكلام المسجوع يزينه السجع و البديع و نحو ذلك ، أما الكلام المرسل فيحتاج فى الاجادة فيه إلى معان عظيمة و أسلوب نفخم مما يصعب ، وهذا هو السبب فى أن النثر الجيد أصعب من الشعر الجيد (٢) » .

وقال بعض النقاد إن للشعر علاقة بالشعور والوجدان وصلة وثيقة بالطبع ولذلك لا يحتاج الشاعر إلى رقى فى العقل أو تعمق فى العلم أو تقدم فى المدنية كما يحتاج إليه النثر ، و من هذه الناحية وصف أحمـد أمين الشعر الجاهلى بأنه أصدق تعبير للحياة فكتب يقول و هو ينتقد فى ذلك ما كتبه ابن خلدون « إن الشعراء الجـاهليين كانوا أصدق فى عاطفتهم وشعورهم نحو الأشياء ، إذ كانوا بساطتهم يعبرون عن خالص ما فى نفوسهم و لم تفسدهم المدنية و الحضارة (١) »

و لذلك يريد أحمد أمين أن لا تطغى الثقافة العلمية على الذوق الفنى كالذى لاحظه ابن خلدون من أنه لما تثقف ثقافة علمية ضعف فى الأدب ، كالذى حكى عن فقيه أراد أن يشعر فقال :

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها و البالى

فقيل : إنه تعبير سرى إليه من الفقه ، أما إن احتفظ بذوقه و استخدم

(١) مقدمة ابن خلدون . (٢) النقد الأدبى .

العلم فهو الشاعر العظيم (١) ثم قال أحمد أمين « وأحسن ملحوظة أن تقال إنه فى تقديرنا للشعر يجب أن تتذكر دائماً أن الشاعر يخاطب مباشرة المشاعر التى فى نفوسنا ، و إن استمتاعنا الحقيقى بالشعر يتوقف على حدة إدراكنا الخيالى ، وإستجابتنا للعاطفة الشعرية(٢) » إن شخصية الشاعر إذاً شخصية غامضة تستحق دراسة دقيقة فانه أحيانا يصور أحاسيس الآخرين ، و أحياناً أخرى يعبر عن مشاعر نفسه ، و هل هو أقوى تأثيراً فى تصويره لواقع الحياة و الأحاسيس عن الحياة أم المصور الذى يرسم فقط .

و قد عالج هذا الموضوع سيد قطب فى كتابه مهمة الشاعر .

« الشعر الذى يفرق فى النظريات المحدودة و الحكم الجافية ، ليس شعراً بالمعنى المراد ، و الشعر الذى يخاطب السمع والبصر مقتصراً عليهما لا يعدو أن يكون شعراً سطحياً ، إذا عزت الأسماء فلم نجد لفظة غير لفظة الشعر نطلقها عليه »

« إنما هو الشعر الذى يحدثك فى أعماق نفسك ، ويصف الشعور الحساس وصفاً غامضاً مبهما ، يدعك لشعورك أن ينطلق و لخيالك أن يتيه ، لأنه لا يضع أمامك مقاييس وحدوداً ، ولكنه يدعك فى ميدان فسيح من عالم الروح الرحب (٣) » ثم يستبعد سيد قطب القول المنقول منذ العهد القديم : « أعذب الشعر أكذبه » ويقول « إن الشاعر ينغمس فى الحياة ويشعر بشعورها ويتفاعل و إياها . ثم يتحدث عنها بما يحس » ثم قال « الشاعر الحقيقى بهذا اللقب إذن هو الذى يحس بالحياة إحساساً عميقاً و يترجم عنها للأحياء » .

و لكن هل كل شاعر موهوب بالعاطفة وقوة التعبير ، والادراك الصميم و الانفعال لما يجرى فى الحياة و تصوير الحقائق ، و المشاعر ، و هل كل من

(١) النقد الأدبى . (٢) أيضاً . (٣) مهمة الشاعر .

ينظم ، شاعر ، أم هناك دخلاء و شعراء مزيفون يكثرون النظم ويغشون كل مناسبة لتقديم أحدث إنتاجهم فقد ذكر ابن قتيبة إن من الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر كزهير و الحطيئة ، و كان الحطيئة يقول خير الشعر الحولى المنقح المحنك ، و قال سديد بن كراع .

« أبيت بأبواب القوافى كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعاً

وقد عد سيد قطب هؤلاء الشعراء الذين يجعلون الشعر وسيلة للاكتساب ، ولا يعتنون بمعانيه ولا بتركيب كلماته من المزيفين فقال : « ترى لهؤلاء الشعراء فى كل يوم قصيدة رثاء لمن يعرفون ومن لا يعرفون ، ومديحاً لمن خبروا ومن لا يخبروا و قصائد فى كل حفلة تقـــام للوداع أو للتكريم ، و زلفى حقيرة للرؤساء و غير الرؤساء ، تعد وصمة فى جبين الانسانية المنكوبة بتلك الجراثيم ، هؤلاء جماعة فقدوا شخصيتهم فقداناً تاماً و جهلوا مهمة الشاعر فى الحياة (١) »

وقارن ايليا أبو ماضى بين شعراء الطبقتين فقال فى الشاعر :

هو من نراه سائراً فوق الثرى و كأن فوق فؤاده خطواته
إن ناح فالأرواح فى عبراته و إذا شدا فالحب فى نغماته
هو من يعيش لغيره و يظنه من ليس يعرفه يعيش لذاته

و إلى أن قال :

كالورد ينفح بالشذا حتى أنوف السارقيه

وقال فى الشعراء المزيفين : قل المجيدون وكثر المتشاعرون ، سنة الطبيعة أن يتوالد البعوض بالملايين و ألا تلد الصقور إلا عدداً نزراً (٢) .

(١) مهمة الشاعر فى الجيل الحاضر (٢) أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية .

العالم الإسلامي

نظرة عامة فى جولة إيران

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

[زودنا سماحة الشيخ الندوى عقيب جولته فى إيران بهذا المقال القيم الذى يلقى ضوءاً لامعاً على جوانب مهمة فى هذا البلد المسلم و وجهات أنظار المسلمين هناك ، و يثير أسئلة هامة فى أوساط الدعاة و العاملين فى حقل الاسلام ، و يستحق دراسة عميقة من حملة لواء الدعوة الاسلامية] . (التحرير)

كانت زيارة إيران — يونان الشرق و مولد الجم الغفير من نوابغ الاسلام و عباقرته و أئمة الحديث و الفقه وعلوم الحكمة و النحو ، والبلاغة والآداب العربية — أمنية قديمة كانت تراود النفس وتعاودها بين حين وآخر، فقد عشنا فى أطيافها و ربيعها و حدائقها التى تغنى بها شعراؤها ، و أدبها الخصب وشعرها الرقيق ، وطبيعتها المرحة القلقة التى تجلت فى مذاهبها المتطرفة ، و أفكارها الثائرة وفى تصوفها الولوع الحنون الذى كانت لايران فيه الزعامة فى العصر القديم ، و لكن لم تتحقق هذه الأمنية إلا فى العهد الأخير ، حين قطع ركب الحياة أكثر مراحل السفر ، و غلب البحث عن الحقيقة على التفنن فى الخيال ، و لعل ذلك كان خيراً .

و الفضل فى هذه الزيارة التاريخية يرجع إلى رابطة العالم الاسلامى كما

يرجع فى زيارة أفغانستان ، فهى صاحبة الفكرة فى هذه الرحلة ، وكان لصيتها البعيد فى العالم الاسلامى و مكانتها المرموقة فى نفوس المسلمين لانتسابها إلى مهبط الوحى و مهد الاسلام و مولد الرسول ﷺ ، و الآمال الكبار التى يعلقها المسلمون بها فضل كبير فى نجاح هذه الرحلة وما لقيه أعضاء الوفد من حفاوة بالغة من حكومة إيران المؤقرة و الشعب الايرانى المسلم و المنظمات الدينية و العلمية و الشخصيات البارزة فى هذا البلد الكبير .

و إن كان لرابطة العالم الاسلامى فضل فى مشروع هذه الرحلة و تهيئة أسبابها — ولا شك فى ذلك — فقد كان لرئاسة مجلس الأوقاف التى يشرف عليها معالى الدكتور منو چهر آزمون نائب رئيس وزراء إيران و رئيس هيئة الأوقاف الفضل الكبير فى تيسير هذه الرحلة ووضع مخططها وبرامجها ، فانه لما علم قصد الوفد لايران أبى إلا أن ينزل الوفد فى ضيافة الحكومة ، و أن تكون رئاسة الأوقاف هى المضيفة الكريمة بالنيابة عنها ، و عنى عناية فائقه بتيسير مهمة الوفد وتمكنه من أداء رسالته ، وأن يحمل عن البلد والشعب فكرة واضحة كاملة و صورة مشرقة زاهية . و يرى الوفد لزاماً عليه ، ومن قبيل الاعتراف بالواقع أن يشكر معاليه على هذه العاطفة الاسلامية النبيلة و الأريحية الايرانية المعروفة .

كانت المدة التى كان الوفد يقضيها فى إيران و يزور فى خلالها معالمها ، و مظاهر نشاطها الاسلامى و حركتها العلمية ثمانية أيام ، و لكن كاتب هذه السطور الذى رضع بلبان حب الأدب الفارسى ، شأن أبناء الأسر المسلمة قبل نصف قرن ، وعرف « سعدى » و « حافظ » فى مقدمة من تعرف بهم من

شعراء العالم وأدبائه ، أبدى رغبته فى زيارة « شيراز» مدينة الشعر والسحر ، فأجاب معالى الدكتور إلى ذلك بكل سرور ، مضيفاً إليها مدينة « أصفهان » عاصمة الصفويين و مركز الفن الايرانى ، و هكذا صارت هذه المدة عشرة أيام ، بدأت من يوم الاثنين ٩ من جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ الموافق ١١ من يونيه (١٩٧٣) م (١) و انتهت يوم الأربعاء ١٨ من جمادى الأولى ١٣٩٣هـ الموافق — ١٥ من يونيه ١٩٧٣م ، و كان السفر صباح يوم الخميس ١٨ من جمادى الأولى ١٣٩٣هـ — ١٦ من يونيه ١٩٧٣ م من تهران إلى بيروت فى طريقنا إلى جدة ، فقد قررنا أن تكون مكة نهاية المطاف فى هذه الرحلة .

كانت هـذه الأيام العشرة التاريخية التى قضاها الوفد فى إيران حافلة بالزيارات و اللقاءات ، و الرحلات و التنقلات و الأحاديث والمحاضرات ، و كان التنزل فى « بارك هوتل » أحد فنادق العاصمة الكبرى .

و قد زار الوفد خلال هذه الأيام عدداً من الوزراء الكبار ، نخص بالذكر منهم دولة عباس هويدا رئيس الوزراء و معالى الأستاذ كاظم زاده وزير التعليم العالى ، فضلا عن معالى الدكتور آزمون الذى قابله الوفد عدة مرات مدة إقامته بتهران ، و كانت مقابلته يوم الثلاثاء صباحاً أول مقابلة تشرف بها الوفد ، وقد جلس معه طويلا فى جو من الاخاء و البساطة وعدم التكلف ، و تشعب الحديث و تناول جوانب إسلامية و علمية و تاريخية ، و كانت مقابلته كذلك هى الأخيرة ، فقد أقام الدكتور حفلة عشاء فاخرة تكريماً لأعضاء الوفد فى فندق (هلتن) ليلة الخميس ١٧ من جمادى الأولى

(١) و كان من ٢١ من خرداد ١٣٥٢ بالتقويم الايرانى المنتشر فى البلاد .

حضرها عدد من الوزراء و كثير من العلماء و أعيان البلد ، و كان من بين العلماء الذين زارهم الوفد وجلس إليهم وتداول معهم الحديث فى موضوعات دينية و علمية ، أصحاب السماحة و الفضيلة « آية الله العظمى » (١) السيد محمد كاظم شريعة مدارى . و «آية الله العظمى » الشيخ حبيب الله ميلانى ، و «آية الله » المرزا محمد خليل كمره آى ، و « آية الله » السيد حسن إمامى . إمام مسجد شاه فى تهران ، والأستاذ الكبير « آية الله » محمد تقى القمى ، و من الشخصيات العلمية و الأساتذة الكبار العلامة وحيدى المشرف على مسجد سپه سالار فى تهران والدكتور محمد محمدى عميد كلية الالهيات وشيخ الاسلام أستاذ الفقه الشافعى فى كلية الالهيات ، و الدكتور عباس المهاجرانى رئيس تحرير مجلة « الفكر الاسلامى » العربية الصادرة من تهران ، و الدكتور سيد حسين نصر رئيس جامعة آرية مهر فى تهران ، و الكاتب الاسلامى الطائر الصيت و مؤلف كتب إسلامية قيمة باللغة الانجليزية ، والاستاذ السيد هادى خسروشاهى الكاتب الاسلامى المعروف و رئيس تحرير مجلة « الهادى» العربية فى دارالتبليغ بـ « قم » (٢) .

وكان من بين المدن التى زارها الوفد مدينة تهران عاصمة إيران، ومدينة

(١) أصحاب الفضيلة العلماء فى إيران طبقتان ، الطبقة الأولى هم الذين بلغوا الدرجة القصوى فى التبحر العلمى و المكانة الدينية يلقبون بـ « آية الله العظمى » و الذين يلونهم يسمون بـ « آية الله » .

(٢) مع الأسف لم نقابل عدداً كبيراً من الأساتذة الجامعيين و المثقفين بالثقافة العصرية المدنية لأن الزمن كان زمن الاجازة الصيفية فى الجامعات و الكليات و لضيق الوقت .

« قم » المركز العلمى الدينى الأكبر فى إيران و مشهد المركز الروحى الأكبر و مدينة أصفهان التى كانت عاصمة إيران لأطول مدة ، و فى أزهر العهود مدنية و فناً ، و مدينة شيراز درة إيران الشعرية و الأدبية ، و قد تجول الوفد فى أحياء هذه المدن القديمة و الجديدة و شاهدها بنفسية المسلم المستطلع ، و عين المؤرخ المعنى بالآثار ، و ذوق السائح المتنقل فى البلاد و الأمصار ، و كان فى مشاهداته هذه إشباع لكل هذه المناحى و قد أعجب بالفن الرفيع ، و الهندسة البارعة ، و النقش البديع ، و الذوق الرقيق ، و المدنية الزاهية التى بلغت أوجها فى عهد الصفويين و شاهد المصنوعات الوطنية و التحائف الفنية التى فاقت فيها إيران .

و كان من بين المشاهد التى زارها الوفد مسجد السيدة معصومة أخت الامام على الرضى بن موسى كاظم ، وفيه ضريحها الذى يقصده الايرانيون من أنحاء بعيدة و يغص المسجد بهم ، و مشهد الامام على الرضى الذى هو أكبر مشهد و مزار فى إيران كلها تشد إليه الرحال و يؤمه الزوار من أقصى البلاد و لا ينقطع عنه الزائرون و لا تتوقف حركة السفر إليه فى أى ساعة ليلا و نهاراً .

و من المساجد الأثرية التى زرناها مسجد سپه سالار فى تهران الذى هو آية فى الفن و الهندسة و النقش و التلوين ، و مسجد شاه الذى هو المسجد الجامع فى العاصمة ، و مسجد « كوهر » فى المشهد ، و مسجد شاه عباس الصفوى ، ومسجد شيخ لطف الله ، ومسجد الجامع ومسجد جهارباغ كلها فى أصفهان ، و مسجد وكيل فى شيراز .

و من المؤسسات و المعاهد التى زرناها كلية الالهيات و المعارف الاسلامية فى جامعة تهران ، و دار التبليغ الاسلامى فى مدينة «قم» و مركز التقريب بين المذاهب الاسلامية فى تهران .

أما الندوات و المحافل التى استقبل فيها الوفد ، و تكلم فيها أعضاؤه ، فمنها منزل العلامة شريعة مدارى ، و دار التبليغ فى « قم » و قد عقدت فى هذه الدار حفلة تكريم كبيرة للوفد ، ألقى فيها محاضرات و أنشدت قصائد ، و منزل العلامة حبيب الله ميلانى فى مشهد ، ألقيت فيه كلمة ترحيب للوفد ، وأجاب عنها عضو الوفد الأستاذ أحمد محمد جمال ، ومنزل العلامة مرزا محمد خليل كمره‌آى ، أقيمت فيه حفلة تكريم لطيفة ، واستقبل الوفد بهتافات حماسية و كلمات ترحيب رقيقة ، وأنشد نشيد إقبال الطائر الصيت الذى مطلعه « الهند لنا و العرب لنا » معرباً بقلم الأستاذ صاوى شعلان المصرى ، و مترجماً إلى الفارسية بالشعر ، و تكلم فى هذه الحفلة عضو الوفد الأستاذ أحمد محمد جمال و كاتب هذه السطور و قد جاء فى هذه الرسالة نص الكلمة التى ألقاها كاتب هذه السطور نقلا من الشريط المسجل مع تنقيح و تهذيب و زيادة يسيرة ، وزار الوفد مركز دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، تكلم فيه الأستاذ الكبير آية الله محمد تقى القمى وكاتب هذه السطور ، وحضر لفيف من علماء البلد و رجال الثقافة و الفكرة .

و من الآثار التاريخية التى زارها الوفد ضريح شاعر إيران الخالد « فردوسى » صاحب الملحمة الفارسية المعروفة بـ «شاهنامة» التى حامت بها إيران فى كل زمان ، وإليها ترد الفضل فى تخليد أمجادها وإحياء لغتها الفارسية،

وإثارة الشعور القومى ، وقد عنيت حكومة إيران بهذا الضريح عناية عظيمة ، و أدت إلى الشاعر العظيم ضريبة الاجلال و الاكبار ، وتوجهته بأعظم رمز لتخليد الآثار ، و قد تجولنا فى « طوس » وهى الولاية القديمة الغنية بآثارها و رجالها ، و قد أنجبت نوابغ مثل حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد أبى حامد الغزالى ، و الوزير الخير الشهير نظام الملك طوسى رئيس وزراء الامبراطورية السلجوقية ، و الشاعر العظيم « فردوسى » و الحكيم الكبير نصير الدين الطوسى و غيرهم .

و قد هاجت هناك ذكريات تاريخية و تمثلنا أيامها الزاهرة يوم كانت مدرسة العلم و مربية الجيل و مأوى الفضل و كان طبيعياً ، و نحن نمشى فى أطلالها و بين عرصاتها إذ ينتقل ذهننا إلى مفخرة الاسلام عبر القرون و الأجيال ، و نابغة النوابغ وأحد العقول الاسلامية الكبرى حجة الاسلام وحسنة الأيام ، الامام أبى حامد الغزالى الذى لم يرزق أحد من بين علماء الاسلام — بعد مؤسس المذاهب المعمول بها فى العالم الاسلامى من القبول و الشهرة و خلود الآثار العلمية — ما رزق هذا الامام ، و سألنا عن مسكنه و مدفنه و مركز حركته العلمية التى أخذت من العالم الخراج ، وانحنى أمامها السرير و التاج ، فلم يكن الجواب مشجعاً و لا مسلياً ، مشى بنا الدليل فى آراض مقفرة ، و أنقاض متراكمة ، و وقف بنا أمام بناء قديم يندب حظه ويشكو قسوة الزمان ، و قيل لنا إنها « هارونية » التى كان الخليفة العباسى هارون الرشيد يحبس فيها من تنزل عليه نقمته ، فلا يرى ضوء الشمس بعد ما يدخلها، و قد وقع بيدنا كتاب ألفه أحد الأساتذة الايرانيين الدكتور عيسى صديق

أحد أساتذة جامعة تهران وقد أسماه « آرام گاه غزالى » يعنى مرقد الغزالى ، فند فيه هذه الشائعة و بين أنها أسطورة لا تستند إلى التاريخ ، و قد بحث فى هذا الكتاب الصغير عن ضريح الامام الغزالى وموقعه فى طوس ، واحتج بنصوص المستشرقين الأوربيين ، فى مقدمتهم البروفيسور پوب الأميريكى (Pope) والدكتور زويمر (Zwemer) ومن المؤرخين المسلمين تاج الدين السبكى من المتقدمين ، و آقاى على أصغر حكمت من المتأخرين ، و وصل بكل ذلك إلى نتيجة أن قبر الغزالى بجوار هذه البناية العتيقة الأسطورية ، و حدانا الذوق التاريخى و الاشتغال بآثار الغزالى و الانتفاع بها إلى قبره ، فرأينا ضريحاً قد جدد حديثاً يقع عن يسار هذه البناية إذا استقبلها الواقف ، و لا كتابة عليه و لا لوحة وأخبرنا أن اللوحة لا تزال فى جوف البناء ورأيناها فعلا ، و قد انطمست كتابتها فلا تقرأ إلا بعض الكلمات بصعوبة ، و قد وقفنا خاشعين أمام عظمة الله تعالى ، و آمنا بأنه هو الحى الدائم و قرأنا قوله تعالى « كل من عليها فان ، و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام .

و من هذه الآثار التاريخية ضريح نادر شاه أفشار الذى غزا الهند فى سنة ١٧٣٩م وفتح دهلى ، ووضع السيف فى أهلها فما رفعه إلا بعدأن سالت دماء المسلمين غزيرة فى شوارع دهلى ، و أدخل الذعر و الخوف فى قلوب أهل البلاد ، و طأطأ أمامه رأس الملك المغولى (حفيد الامبراطور أورنك زيب عالمكير) محمد شاه ، واستولى على عرش الطاؤس الذى صنعه شاهجهان ، و كان مرصعاً بالجواهر الكريمة فأخذه إلى إيران ، و كان لاشك من أكبر القادة العسكريين الذين نبغوا فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد عنيت

مصلحة الآثار القديمة بابراز هذا الأثر التاريخى ، وأحاطته بالكتابات والصور التى تلقى ضوءاً على عصامية هذا القائد ومغامراته ، وقد قصدت أحد متاحف تهران ، و هو « كاخ كلستان » شوقاً إلى مشاهدة عرش الطاؤس ، و تحكم فى الطبيعة الهندية ، و الذوق التاريخى ، فعرفنا أنه جزئ و قطع و أودعت الجواهر النفيسة فى بعض البنوك أو المتاحف الأثرية ، و صنع سرير آخر تقليداً له يحاكيه فى الهندسة و لم نعلق عليه أهمية .

ولم نعرف أثراً لضريح الخليفة هارون الرشيد الذى دوى اسمه فى الآفاق ، ونال من الشهرة حظاً لم ينله ملك من ملوك المسلمين أو من ملوك الشرق ، والذى قال لقطعة من سحاب مرت على رأسه : « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك » و قد أحاطت به هالة من الأساطير و الروايات لم تحط بشخصية أخرى ، و من الثابت فى التاريخ أنه دفن فى طوس ، و لا يستبعد أن يكون قبره بجوار سيدنا على الرضا(١) . ولكنه أصبح مغموراً مطموراً بجنب شخصيته الدينية و ما تدين لها إيران من تعظيم و تقديس .

(١) كانت وفاة الرشيد سنة ١٩٣ه بطوس و دفن بها ، و توفى سيدنا على الرضا سنة ٢٠٣ه بمدينة طوس كذلك ، قال ابن خلكان : « وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبرأبيه الرشيد» واختلف فى سبب موته فقيل : إنه كان موتاً طبيعياً ، و قيل بل كان مسموماً ، سمه بنو العباس لأن المأمون عهد إليه بالخلافة ، إقرأ التفصيل فى كتب التاريخ ، و اشتهر طوس بالمشهد بسبب دفنه ، لعل ذلك فى أيام الصفويين و هذه المنطقة كلها كانت تسمى خراسان و لا يزال هذا الاسم باقياً فى هذا العصر .

وفاتنا أن نزور نيشاپور عاصمة السلاجقة والمدينة العلمية التاريخية العظيمة التى نهض منها علماء كبار و شعراء مفلقون ، وفيها قبر الشاعر المشهور عمر خيام وخاجا فريد الدين عطار الشاعر الصوفى ، وهى تبعد من أصفهان مأة وثلاثين كيلو متراً و لم يتسع وقتنا لزيارته .

و زرنا شيراز التى دخل اسمها فى أدبنا الهندى وفى أمثال لغتنا ، وكان مثلنا و مثلها كما قال بشار بن برد :

و الأذن تعشق قبل العين أحياناً

و بدأنا بزيارة قبر الشيخ مصلح الدين سعدى صاحب الحديقتين الزاهرتين الخالدتين « گلستان و بوستان(١) » و حضرتنا و نحن واقفون على قبره بعض أبياته التى تمنى فيها دعاء رجل تهيجه عاطفة الحنان والرحمة فيدعو له ، ودعونا دعوة من نهل من موارده واقتطف من زهوره ، ثم زرنا قبر خاجا حافظ من أكبر شعراء الحب و الحنان ، و العاطفة والوجدان ، فى عصره و بعد عصره .

و زرنا « تخت جمشيد » الذى هو من أقدم الآثار التاريخية فى إيران و هى عاصمة « دارا » الأول ، يرجع تاريخها إلى ألفين و خمس مأة سنة ، و كانت قاعدة ملك كبير ، و مركز حضارة من أرقى حضارات العالم القديم ، و قد تجلى فيها الفن المعمارى و الهندسة البنائية ، و طريقة نقل الحجارة الضخمة الهائلة إلى الهضاب و المرتفعات ، و بناء العمد الشاهقة ، فى أروع مظاهرها ، يذكر السائح بأهرام مصر و قدرة المصريين القدماء على نقل

(١) معناهما الروضة و الحديقة .

الحجارة و تركيب بعضها ببعض ، و قد عقدت حكومة إيران فى هذا المكان فى العام الماضى مهرجاناً بمناسبة مرور ألفين وخمس مأة سنة على الامبراطورية الايرانية ، حضره رؤساء الجمهوريات و ملوك العالم و وزراء الدول و ممثلو البلاد ، و أنفقت عليه الملايين من النقود ، و تفاصيل هذا المهرجان لا تقل عن أساطير ألف ليلة و ليلة فى الغرابة ، و المحل يبعد عن شيراز بستين كيلو متراً تقريباً .

وقد ملكتنى و أنا أجول فى أطلال هذه المدينة البائدة فاستغرقت فيها ، و هى كيف استطاع العرب رعاء الشاة و الغنم ، و سكان الوبر و المدر أن يفتحوا هذه البلاد العريقة فى المدنية ، الغنية فى الحضارة والعلم ، و التى كانت هذه المدينة بعض آثارها ، والتى توارثت الملك و المدنية منـــذ آلاف من السنين ، و بلغت بهما شأوا بعيداً لا يتصوره العقل ، و كان الجواب ، قوة الايمان والدعوة ، وفضل تعاليم الاسلام ، والبعد عن أدواء المدنية المصطنعة ، و حياة الرقة و النعومة .

و قبل أن أختم هذه الكلمة عن الاعتراف بفضل الشخصيات البـــارزة و ذكر المشاهدات و اللقاءات ذات الخطر و الشأن ، أرى حقاً عـلى و على الوفد أن أنوه بمرافقنا الفاضل الذى اختارته رئاسة الأوقاف ، ليكون مساعدنا فى هذه الرحلة ، و دليلنا فى زيارة المعالم ولقاء الأعلام ، فقد أثبت جدارته و حسن اختيار معالى الدكتور آزمون ، و هو الدكتور أبو القاسم مشيرى مدير الأوقاف العام فى تهران ، و كان خير مرافق ، وخير صديق ، و خير زميل ، فى هذه الرحلة ، و سعيد من يجد مثل هذا المرافق ، وهذا الدليل ،

فى رحلة يقوم بها فى بلد جديد ، ونشكر كذلك سفارة المملكة العربية السعودية و سفيرها المؤقر سعادة الأستاذ عرب هـاشم على عنايتهما بتيسير مهمة الوفد والاحتفاء به ، و قد عقد سعادة السفير فى منزله حفلة تكريم ومأدبة حضرها كبار العلماء و بعض الوزراء و أعيان البلد .

هذا استعراض مجمل لهذه الجولة التى كان لها صدى فى القلوب والنفوس ، و حديث فى المجالس و المحافل ، و لم تغفـل الاذاعـة و التلفزيون أن تلعب دورها فى الاشادة بهذه الجولة ، التى كانت جديدة فى نوعهـا ، ذات أهمية فى نتائجها و آثارها ، و يستطيع القارئ المعنى بالرحلات و الجولات أن يأخذ عنه صورة مجملة ، و فكرة عمومية عن طبيعة هذه الرحلة ، و قيمتها التاريخية و الأثرية و الاجتماعية و العلمية .

و نريد بعد ما انتهينا من هذه المرحلة التى لابد منها ، أن نورد هنـــا بعض انطباعاتنا و ملاحظاتنا فى هذه الجولة ، التى لم تكن سياحة فى بلد شرقى إسلامى فحسب ، و لا زيارة تحية و مجاملة ، و إنما كانت أبعد مدى و أعمق أثراً من الرحلات التاريخية ، و الزيارات الأثرية ، و تبادل التحية بالتحية ، و هنا نضطر إلى أن نسجل الجوانب المشرقة التى تفتح مجـــالا واسعاً للآمال والأعمال ، وتبعث على السرور والتفاؤل ، ونسجل جوانب تثير الاستغراب ، وتطالب — إلى حد ما — سعة نظر و رحابة صدر ، وثقة باخلاص القائل ، وحسن قصده ، ولا شك أن إخواننا الفضلاء فى إيران متحلون بهذه الأخلاق العالية ، و السجايا الكريمة ، و أنهم يرحبون بهذه الصراحـــة ، و قد لمسنا آثارها فى الأيام التى عشناها بينهم .

١ — إن أول شئ بهرنا و أثار فينا الاستغراب مع الاعجاب ، و الحيرة مع المسرة ، هى قوة العاطفة الاسلامية ، وشدة رغبة إخواننا الايرانيين على اختلاف طبقاتهم و ثقافاتهم فى الوحـدة الاسلامية ، و الالتفاء على صعيد واحد من جوهر الاسلام و مبادئه الأولية ، واعترف هنا أننا لم نكن نتوقع هذه الموجة القوية من حب الوحدة ، و مد يد الأخوة و الصداقة إلى سائر المسلمين فى العالم ، وتكوين جبهة موحدة ضداللادينية التى تتحدى جميع الأديان ، و جميع القيم الخلقية ، و التى لا تميز بين سنى و شيعى ، و حنفى و شافعى ، ومحافظ ومتجدد ، ومقلد ومجتهد ، إنه كان فاتحة الحديث وخاتمته فى المجالس ، و الهتاف الصارخ فى الندوات و الحفلات ، و الرغبة الجامحـة فى النفوس و القلوب ، ولاشك أنها ظاهرة طيبة مباركة ، يجب على جميع المعنيين بقضية الاسلام و المسلمين أن يستثمروها ، و يستخدموها فى صالح الاسلام ، الذى جنت عليه المغالاة ، وتخطى الحدود فى الاختلاف جناية كبيرة ، و الذى جر فى منتصف القرن السابع الهجرى على بغداد ـ مركز الخلافة وعاصمة الاسلام ـ الشقاء الأكبر ، و كان سبب كارثة قلما يوجد لها نظير فى التاريخ (١) و منع العثمانيين أن يفتحوا أوربا ، و يتوغلوا فيها إلى أقصى حد ، و أضعف الحكم الاسلامى فى الهند ثم انتهى به إلى الانقراض التام .

(١) اقرأ رثاء مصلح الدين سعـدى الشاعر الايرانى على هذا الحادث ، و قصيدته الحزينة الدامية على نكبة المسلمين فى ديوان شعره ، و الذى مطلعها : آسمان را حق بود گر خون ببارد بر زمين
بر زوال أمر مستعصم أمير المؤمنين

٢ — و الشئ الثانى ما لمسناه فى هـذه الزيارة من عناية زائدة بالآثار الاسلامية ، و التأليف فى اللغة العربية ، و إحياء التراث الاسلامى ، و نشر آثار علماء الاسلام و الاعتناء الزائد بالمصاحف الأثرية ، وتحليتها و تزيينها ، مما يدل على التقدير و الاجـلال و الاحترام و الاهتمام و قراءة القرآن — و أكثره من صوت القراء المصريين المسجل — فى المشاهـد و الحفلات و احترامها ، و ذلك يدل على الايمان و إجلال القرآن .

٣ — و منها الغيرة الدينية و محاربة الحركات الهدامة الثائرة على الاسلام ، وفى مقدمتها البهائية التى منعت فى إيران منعاً قانونياً ، واعتبر معتنقوها مارقين من الاسلام ، مع أنها ديانة ولدت فى إيران ونشأت فيها ، و كذلك كراهة علماء إيران للديانة القاديانية و محاربتهم لها ، أضف إلى ذلك عدائهم للالحاد و للشيوعية فى بلادهم ، و هذه الغيرة جديرة بأن يغتبط عليها ، و تقلد إيران فيها الأقطار الاسلامية الأخرى ، و خاصة باكستان التى بينها و بين إيران صلات الصداقة متينة .

٤ — و منها دماثة الخلق و رقة العاطفة و كرم الضيافة و التواضع الزائد الذى يلقاه به المسلم الايرانى أخاه الوافد من بلاد الاسلام ، و إشعاره بأنه بين إخوانه و أحبابه و فى بلده ، و كنا لا ننزل فى بلد إلا ويستقبلنا رجال الحكومة و أعيان البلد و علماؤه الكبار ، و قد رأينا كبار المسؤلين وبعض العلماء المشهورين واقفين على حافة الطريق فى الشمس لاستقبالنا ، ونحن متوجهون إلى قم ، و قد تأخرنا فى الوصول ، هذا ما شهدناه ولمسناه فى هذه الزيارة القصيرة .

أما الجوانب التى نريد أن نلفت إليها نظر إخواننا الايرانيين و خاصة العلماء الأفاضل و الموجهين و القادة فهى كما يلى :

١ - من المعلوم أن المقصود الحقيقى من إرسال الرسل ، و إنزال الكتب بل من خلق السماوات و الأرض و خلق الانسان ، هو عبادة الله وحده ، بجميع ما تحتوى عليه هذه الكلمة البليغة المعجزة ، من معانى الحب والطاعة ، و الخضوع و الخشوع ، و الاخبات و الانابة ، و الالتجاء و الافتقار ، و إنما جاءت الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - ليربطوا الخلق بالخالق قلباً و قالباً ، و يأخذوا بنواصيهم ويطأطأوا رؤوسهم على عتبة عبوديته ، وتلك غاية أمانيهم و منتهى سعادتهم و نجاحهم ، و فيها نعيم قلوبهم ولذة روحهم ، و لم يأتوا ليشغلوا العباد بنفوسهم و يقفوا حاجزاً بينهم و بين ربهم ، إنهم لم يأتوا لاستبعاد الانسان للانسان ، أو لأسرة أو بيت ، أو سلالة، أوعرق ، أو دم ، و إن كانت هى أسرتهم و بيتهم و أبناءهم ، إن طبيعة تقديس الدماء و العروق ، و السلالات و الأجيال ، و تأسيس الدول الكبيرة ، و إنشاء السيادات و الزعامات للأبناء و الأحفاد ، و تأمين مصالحهم و مركزهم فى المستقبل ، ودعوة الناس إلى تمجيدهم و تقديسهم ، والتغنى الدائم بامتيازاتهم ، و بكونهم فوق البشر أو مستوى العامة ، طبيعة تليق بالملوك الفاتحين و القادة الطامحين ، و طلاب الدنيا و عباد المادة ، قد عرفت فى تاريخ الحكومات ، وفى تاريخ الأسر و البيوتات فى الزمن القديم ، ولا تليق بالأنبياء والمرسلين ، و لا أبلغ من قوله تعالى « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس : كونوا عباداً لى من دون الله ، و لكن كونوا

ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون ، و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » (١) .

و لذلك كان النبى ﷺ حذراً شديد الحذر من كل ما يشغل الناس بالناس ، أو يقف حاجزاً بين العبد وربه ، أو يوجه عاطفة العبودية والانابة ، أو التقديس و التمجيد إلى غير الله تعالى ، شخصاً كان أو أثراً أو معبداً أو مشهداً ، فقد صح أنه قال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٢) و قال : « لعنة الله على اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » (٣) وقال « لا تجعلوا قبرى عيداً » (٤) و الأحاديث فى ذلك كثيرة .

و ذلك كله مخافة أن تتعلق القلوب وتتجه النفوس إلى غير الله ، وينشأ و ينمو ذلك على حساب الاقبال على الله و الانابة إليه ، و على حساب

(١) آل عمران الآية ٧٩ - ٨٠ .

(٢) رواه مالك مرسلا فى المؤطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، و رواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً .

(٣) حديث متفق عليه .

(٤) رواه أبو داؤد عن أبى هريرة وهو مروى بلفظ « لا تتخذوا قبرى عيداً » برواية أهل البيت عن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ ، و عن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ ، روى الأول فى المختارة و روى الثانى سعيد بن منصور فى سننه ، و العيد اسم لمايعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أوالشهر ونحو ذلك .

البيوت التى « أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو و الآصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » و قد أثبتت تجربة الأمم السابقة أنه ما فتنت أمة بالمشاهد و الضرائح و الآثار و الأعياد ، إلا شغلت عن المناسك و المساجد ، و إقامة الجماعات فيها ، و العكوف عليها و الفزع إليها و إلى الصلاة إذا حزبها أمر أو نزل بها حدث (١) .

و قد لاحظنا مدة إقامتنا القصيرة فى إيران أن المشاهد أكثر عمراناً و ازدحاماً ، و النفوس أعلق بها من المساجد ، فاذا دخل غريب فى مشهد سيدنا على الرضا لم يشعر إلا وأنه داخل فى الحرم ، و هو غاص بالحجيج ، مدوى بالبكاء و الضجيج مكتظ بالرجال و النساء ، مزخرف بأفخر الزخارف والزينات ، قد تدفقت إليه ثروة الأثرياء وأموال الأغنياء وتبرعات المتوسطين و الفقراء ، فلا يكاد يفرق بينه و بين الحرم المكى و المسجد النبوى ، ويرى أقل من ذلك فى مدفن السيدة معصومة بقم .

أما المساجد - و إيران من أغنى بلاد الله فى كثرتها و سعتها و فخامتها و بعض مساجدها لايوجد لها نظير فى الأقطار الأسلامية - فلا يرى فيها هذا الزحام ، و هذا الحماس الدينى و الاندفاع العاطفى ، بل إن كثيراً منها تشكو قلة المصلين و زهد القاصدين ، هذا مع علمنا بما فى المذهب الجعفرى من أحكام خاصة عن الجمع بين الصلاتين و شروط الامام الدقيقة ، فقد كان من الممكن أن تكون المساجد والجوامع رغم ذلك أكثر حظاً من العمارة والحيوية

(١) روى عن النبى ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

والأنس والتلاوة ، والذكر مما هى الآن ، ولا شك أن علماء إيران الأفاضل و أهل الغيرة الدينية يولون هذه النقطة اهتمامهم الخاص حتى لا يسوغ لزائر أن يشعر بهذا الفرق الواسع بين المساجد و المشاهد (١) .

ومن آثار هذا الهيام - الذى قدتخطى الحدود - بكل مايتصل بأئمة أهل البيت انتشار صورهم ، بل وجود صورة النبى ﷺ و أمير المؤمنين على بن

(١) و من قبيل الاعتراف بالواقع و الشهادة بالحق ، أن فتنة الضرائح والمشاهد و شد الرحال إليها من أنحاء بعيدة و الاجتماع عليها سنوياً مما يخاف منه أن يدخل تحت نهى « لاتتخذوا قبرى عيداً » والأعمال الشركية منتشرة عند جهلاء أهل السنةفى مصر وفى شبه القارة الهندية ، لا يمكن إنكارها ، ولكن مما لاشك فيه أن علماء أهل السنة الراسخين فى العلم ، و المبينين للحق لم يزالوا من عهد السلف إلى عهد الخلف ينكرون على ذلك أشد الانكار ، ويحذرون الناس منه أعظم تحذير ، و يتعرضون لسخط العامة ولا يخافون فى الله لومة لائم ، و لم يخل من هؤلاء المصلحين قرن من القرون و لا بلد من بلاد الاسلام ، ولا يزال العلماء قائمين بفريضة الأمر بالعروف و النهى عن المنكر ، و الدعوة إلى التوحيد ، من غير مداهنة ومحاباة ، و كتب المذاهب الأربعة مملوءة بالانكار على منكرات القبور و بدعها ، فهل وجد فى إخواننا الشيعة دعاة ومصلحون ينكرون على الغلو فى المشاهد والضرائح ويدعون الناس إلى الدين الخالص؟ إن علمنا بتاريخ الاصلاح والتجديد لعلماء الشيعة ضئيل ، فنحن ننتظر من إخواننا الأفاضل الافادة فى هذا الموضوع .

أبى طالب بكثرة فى المساجد والبيوت ، وقد رأينا ذلك و عز علينا فى مسجد سپه سالار ، و فى بعض المساجد و البيوت ، و لا شك أن ذلك من باب الذرائع إلى الشرك ، و قد تورطت الأمم السابقة بتصوير الصالحين و العباد منهم فى الشرك الجلى و عبادة الأصنام و التماثيل ، أعاذ الله الأمة الاسلامية و حماها من هذا الخطر الكبير (١) .

٢ــ إننا شعرنا فى كل مجتمع ينتمى إلى الطريقة الامامية أن الصلة العاطفية ، و الحماس الداخلى فى حب أهل البيت ، وتعظيم الأئمة ــ الذين كانوا أئمة الهدى و مصابيح الدجى و لا يشك فى ذلك مسلم ــ كاد يشغل كل فراغ فى النفس و العاطفة و العقل و الضمير ، ونخشى أن يكون قد أخذ الشئ الكثير من حق النبوة التى هى مصدر كل خير و سعادة ومن شخصية الرسول الأعظم الذى نال به أهل البيت ، الشرف ، و استحقوا الحب و التعظيم ، وإنه نما و ازدهر على حساب الصلة العميقة التى يجب أن تكون بين المسلم و بين نبيه ﷺ .

و قد ظهر ذلك الأثر فى الشعر الذى قاله شعراء إيران فى مدح النبى

(١) فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة و ما فيها من الصور فقال « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً و صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله . وذكر ابن هشام فى سيرته أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة و غيرهم و رأى إبراهيم عليه السلام مصوراً فى يده الأزلام إلى أن قال : « ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست » .
ابن هشام الجزء الرابع ص ٤١٣

ﷺ ، و فيما قالوه فى مناقب أهل البيت ، و خاصة فى مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وسيدنا حسين بن على ، فيفوق الثانى الأول فى قوة العاطفة والتعبير عن القلب ، و القدرة الشعرية . وفيض الخاطر و تدفق القريحة ، لمسنا هذا الفرق فى الشعر الذى قاله شعراء أردو فى الهند من إخواننا الجعفريين ، و الشعر الذى قالوه فى المديح النبوى ، و لمسناه فى الشعر الفارسى ، و رأينا هذا الفرق فى الكتب التى ألفت فى السيرة النبوية و فى مناقب أهل البيت كماً و كيفاً ، و رأيناه فى الفرق الواسع بين العناية بالمشاهد ، و العناية بالمساجد ، و بين الشوق إلى السفر إلى النجف و كربلاء ، و العتبات العاليات ، و السفر إلى الحرمين الشريفين (١) .

إننى أعترف بأنه لايخلو من رد فعل لما وقع من بعض علماء أهل السنة ، و المتحمسين من هذه الفرقة من التقصير فى التنويه بفضل أهل البيت و ما لهم من حقوق على المسلمين ، و لكنه أكثر من ذلك ، و على كل فقد اتجه تيار الحب والحماسة الدينية ، والعاطفة الفياضة إلى هذا المركز الروحى ، وأحاطت به هالات التقديس ، وأهيلت عليه نعوت وصفات ، أخشى أن تكون قد جعلت الامامة منافسة للنبوة أو مشاركة لها فى كثير من الصفات ، واندفع بذلك تيار

(١) و لا شك أن هناك تغيراً ملموساً فى العناية بأداء فريضة الحج عند إخواننا الشيعة خصوصاً فى إيران ، فقد تضخم عدد القاصدين فى الحج من إيران فى الأعوام الأخيرة ، و لا يزال فى ازدياد و نمو . وهذا فضلا عن تنظيم حركة الحج الذى فاق فيه إخواننا الايرانيون على أكثر البلاد الاسلامية .

الحياة كلها إلى مركز يبدو و ينمو بجوار المركز الأصيل الذى هو نبوة خاتم النبيين ، و أشرف الأنبياء والمرسلين ، و أثر ذلك فى الأدب والشعر والتفكير و العمل ، ولا نريد أن نطيل فى ذلك ، فاذا تلمس إخواننا المنصفون قلوبهم و خفقانها واستجابتها وانفعالاتها ، رأوا أن هذه الملاحظة إن لم تكن مايوافقون عليه مأة فى المأة ، فانها تدعوهم إلى التفكير من جديد و لا شك أن أئمة أهل البيت كانوا خلفاء الرسول من غير نزاع فى الدعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، أعداء لما يصرف الناس عن الله و يشغلهم بغيره ، أشد الناس غيرة على الدين ، الذى جاء به جدهم و سيدهم و نبيهم ﷺ ، فهم لا يرتضون شيئاً يضعف صلة العبد بالرب ، و يشغل أحداً من الخلق بالخالق ، هذا ثابت بالبداهة و ما تواتر عنهم من الغيرة على الاسلام و الزهد فى الدنيا ، و العزوف عن كل مظاهر العظمة الزائفة ، وما استفاض عنهم من الفرار عن الخلق إلى الحق ، والاشتغال بنشر العلم النافع و الدعوة إلى الله .

٢ – و لا بد للتقريب بين المسلمين و ملأ الهوة الشاسعة الواقعة بين أهل السنة والشيعة . أن يوجه هذا التيار إلى النبوة التى هى ملتقى كل مسلم ، والشخصية التى نبعت منها هذه العيون الدافقة ، وخرجت هذه الخيوط الذهبية ، التى أضاءت العالم كله . إنه عمل تجديدى عظيم يحتاج إلى عماليق فى العلم و الفكر ، و قوة الارادة و علو الهمة و العلم الراسخ و الفكر الثاقب ، و إنه إذا تم هذا العمل أحدث انقلاباً لايوجد له نظير فى تاريخ الانقلابات الفكرية والتجديد الاسلامى و هو الأساس السليم المتين الذى تقوم عليه الوحدة الاسلامية الفطرية الحقيقية .

٣ – يجب أن يتغير نظر إخواننا الجعفريين – إذا أرادوا التقريب بين المذاهب

وجمع شمل المسلمين وتصافى القلوب – إلى صحابة الرسول ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين . فلا يقوم تقارب حقيقى إلا بالاحترام المتبادل للشخصيات الحية المحترمة بين الأشخاص أو الفئات . و لا يعقل أن يتواد اثنان و يتصافيا و يتعاونا على عمل باخلاص و حماس ، وأحدهما يذكر من يعتقد فيه صاحبه الخير والفضل ، أو يدين له بحب و ولاء ، بسوء و ينسب إليه الطامات و يتقرب إلى الله بالذم و التشنيع عليه ، و كلنا جرب ذلك ، و ذاق مرارته و لذعه فى حق آبائه و أساتذته و شيوخه ، فكيف بمن يراهم الانسان أفضل من آبائه و شيوخه و أساتذته ، و يفديهم بمهجته و روحه ، ويرى لهم الفضل فى نصرة نبيه ، ونشر الاسلام إلى أقصى حدود العالم ، و الجهاد فى سبيله و حسن البلاء فى الدعوة إلى الله ، و الزهد فى الدنيا و التقشف فى الحياة ، و الايثار على النفس .

و بصرف النظر عن هذا الجانب العاطفى ، فان لهذا الموضوع قيمة علمية وأهمية دعوية ، فقد اعتاد الناس فى كل زمان أن يقيسوا صدق الدعوة . وفضل التعاليم التى يدعى إليها بكثرة ما أبرزته هذه الدعوة من نماذج رائعة ، و أمثلة كاملة ، و بفضل ذلك الرعيل الذى ربته هذه الدعوة ، و أنشأته هذه التعاليم ، و بقدر النجاح الذى لقيه صاحب الدعوة فى دعوته و تربيته و هذا هو مقياس المعلمين و المربين و القادة و الموجهين و الحذاق فى الصناعات و الماهرين فى كل عصر ، فاذا كان نتاجهم كثيراً ونجاحهم كبيراً فى تخريجهم و تربيتهم ، سلمت مهارتهم فى فنونهم واختصاصاتهم ، وسلمت لهم الزعامة والامامة والتفوق والتقدم ، و إذا كان نتاجهم ضئيلا و نجاحهم قليلا ، أو ضاعت جهودهم فى تلاميذهم و خريجهم فى وقت قريب ، وأحبطوا مساعى أساتذتهم بعد أن فارقوا الدنيا ،

و زال أثر تربيتهم سريعاً ، اعتبر هؤلاء الأساتذة والمربون فاشلين فى مهمتهم ، مخفقين فى تربيتهم ، و ذلك يضعف تأثير الدعوة وقيمتها إلى هذه التعاليم ، وإلى الايمان بعظمة هذا الداعى أو المربى و عبقريته ، ويقف حاجزاً بين هذه الدعوة وبين دخول الناس فيها والثقة بها ، ولهم أن يتساءلوا ، ما أملنا فى هذه الدعوة وتأثيرها و تزكيتها للنفوس و الوصول بها من حضيض الحيوانية إلى ذروة الانسانية ، و لم تحدث هذه الدعوة على يد داعيها الأكبر ، و فى زمن أوجها أثراً عميقاً خالداً ، و لم يثبت من آمن بها أوفياء أمناء لها فى عصرها الأول ، و لم يبق على هذه الجادة التى تركهم عليها نبيهم إلا بضعة رجال ، فمن مطالب الدعوة الاسلامية ، و من الانصاف لشخصية الرسول ﷺ و سيرته وتاريخه ، وإنارة لها فى عيون الناقدين أن نعرف للصحابة فضلهم ونثبت عظمتهم وإخلاصهم و وفاءهم و توادهم و تناصرهم على الحق ، و أن نعرض على العالم صفحة بيضاء مشرقة من هذا التاريخ الرائع ، و إن ما روى عنهم من هنات أو زلات فهى كنقطة سوداء فى ملأة بيضاء . و هذا ما يقرره القرآن و تقرره الأحاديث المستفيضة ، و التاريخ الموثوق به ، و يقرره المنطق المستقيم ، والعقل السليم ، وقد مدح القرآن الكريم من نهج هذا المنهج فى سلفه الصالح ، و فى السابقين الأولين فقال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » و قد عرفت الأمم السابقة بحب حوارى رسلهم وأصحابهم ، و إيثارهم على غيرهم ، فاعتقدت أنها كانوا خيار خلق الله ، ونحن أولى بذلك منها جميعاً ، فكان نبينا أعظم منهم نجاحاً ، و أكثر منهم تأثير بتصريح من القرآن ، و قد

قال الله تعالى : هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، و قال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، و كفى بالله شهيداً » .

إننا إذا أردنا التقريب بين المذاهب حقاً ، وكنا جادين فى ذلك وجب أن يكون ذلك على أساس سليم فطرى ، وكل محاولة لهذا التقريب من غير هذا التغيير النفسى محاولة غير ناجحة ، و غير طبيعية ، إنى قلت فى مجلس الأستاذ الكبير العلامة محمد تقى القمى الذى يدعو إلى هذا التقريب منذ ثلاثين سنة أو أكثر « إن التصفيق - كما يقول المثل العامى عندنا فى الهند - لا يكون بيد واحدة ، إنه لا يكون إلا بيدين مخلصتين عازمتين جادتين ، و إذا كان فى إحداها تراخ أو استرخاء لم يتم التصفيق » و قلت كذلك : إن التقريب ليس بشئ صناعى ميكانيكى ، إنه عمل القلب قبل أن يكون عمل اللسان ، و إنه قضية الداخل قبل أن يكون قضية الخارج ، إنه لم تكتشف إلى الآن مادة غرائية تلصق بها القلوب كما تلصق الأوراق ، فيجب أن ينبع هذا من القلب ، ويفيض حتى تشعر القلوب بقوته و حرارته » ولابد لذلك من تفاهم وتنازل وتبادل ، فاذا تهيأت النفوس لذلك ، و استجابت له القلوب ، كان فيضاناً من الحب و الثقة ، لا يقف فى طريقه شئ ، والحب يقهر كل ما يقع فى طريقه من عداء و بغض ، و يجرف .

٤ — وهنا وقفة قصيرة وأخيرة عند ضرورة زيادة العناية بالقرآن الكريم ، إن إخواننا الايرانيين لا شك يحبون القرآن و يجلونه ، و يعتنون به اعتناءاً

كبيراً ، قد تجلى فى كتابة المصاحف بأجمل الخطوط و النقوش ، من أقدم العصور ، و الاحتفاظ بهذه المصاحف فى المكتبات و المتاحف ، و الافتخار بها بحق و جدارة ، و طبع المصحف الكريم طبعاً دقيقاً أنيقاً ، لا يقل عن بلد آخر ، وقد عنى كثير من علماء إيران القدامى ، والمحدثين بتفسير القرآن و أثرت عنهم كتب جليلة اشتهر عدد منها فى الهند و غيرها .

ولكننى أشعر بحاجة إلى عناية أكثر من هذه العناية وأعمق منها، إننى أعنى به التذوق للقرآن و التضلع منه ، و الاهتمام الزائد الذى يظهر فى كثرة التلاوة و كثرة الحفاظ المتقنين ، و إيثاره على كل شئ حتى يتغلب ذوق القرآن على كل ذوق ، و أن يكون هو سدرة المنتهى و الأفق الأعلى فى العلم و الأدب و العقيدة و العمل و المنهج و السلوك .

ولا شك أن إخواننا الفضلاء و قادة التفكير فى إيران الحبيب يشعرون بهذه الحقائق أو بعضها ، و يشعرون بالضرورة الملحة إلى إبرازها وتقويتها، إنه عمل تجديدى عملاق لا ينوء به إلا العمالقة الذين يخاطرون بمركزهم العلمى والاحترام الذى يتمتعون به و يعرضون حياتهم لخطر ، ولكن السرور الذى يحصل بهذا النجاح لا يعدله سرور ، و أن الشرف الذى يسجله التاريخ لهم لا يعدله شرف ، إن إزالة الأنقاض التاريخية و الركام الفكرى و التقليدى ، الذى تراكم و تصلب ، و نفض الغبار الذى طرأ على جوهر الاسلام النقى ولجينه الصافى ، وإعادة الدين إلى ما كان عليه فى عصر النبوة ، ليس بالخطب اليسير و العمل الهين ، إنه أكبر جهاد وأعظم تجديد ، و ليس دعوة القرآن مختصة بالأديان الأخرى ، و الأمم غير الاسلامية ، بل هى موجهة إلى فرق

الأمة الاسلامية و طوائفها الى آخر الأبد ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » .

و فى الأخير أوكد لاخواننا الفضلاء أنه لم تصدر هذه السطور إلا من إخلاص ، وحسن قصد ، وشعور بالأمانة ، وحرص على الوحدة الاسلامية ، و معذرتى إذا وجدوا فى هذه السطور فكرة لا يوافقون عليها أو تصويراً للواقع يرون فيه إفراطاً و تفريطاً ، أو تعبيراً لا يرتضونه ، فكل بشر يخطئ و يصيب ، و العصمة لله .

وأعود فأشكر إخواننا الايرانيين حكومة وشعباً على الروح الطيبة الخفيفة، التى قابلوا بها الوفد ، و الخلق الاسلامى الكريم ، و الضيافة الكريمة التى لقوه بها ، و أرجو أن يتبادل الشعوب الاسلامية والبلاد الاسلامية الوفود ، والبعثات ، و الزيارات واللقاءات ، حتى يعرف بعضنا محاسن بعض ، ويزول سوء التفاهم و تتفتح القلوب و تتلقح الأفكار .

و الله الموفق للسداد و هو الهادى إلى سبيل الرشاد .

﴿بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨﴾

إن المسئولية فى ذلك تقع على العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية و على دعاة الاسلام ، و إنهم مسئولون قبل الجميع عن وضع برنامج شامل لبعث الحضارة الاسلامية من جديد ، و تمثيلها فى مجتمع نموذجى يجمع بين المدنية الخالصة والايمان الصادق ، ويربط بين الوسائل و الغايات .

إن الناس فى الغرب ينتظرون من ينقذهم اليوم من حضارتهم المادية التى أينعت ثمارها المرة وحان قطافها ، إنهم لفى حاجة إلى حضارة تهيئ لهم هدوء النفس و طمأنينة القلب و هى حضارة الاسلام من دون شك ، فهل ينتبه دعاتنا وعلماؤنا إلى هذه الضرورة ، ويضعون برنامجاً واقعياً لكسب الغرب واستغلال وسائله فى صالح البشرية ؟

سعيد الأعظمى الندوى

إلى القراء الكرام

[نظراً إلى الظروف الاقتصادية القاسية وتضاعف أسعار الورق وأدوات الطباعة اضطررنا إلى زيادة فى قيمة الاشتراكات السنوية ، و على ذلك فتكون قيمة المجلة حسب ما يلى — وذلك اعتباراً من المجلد الثامن عشر — فنرجو حضرات القراء الاطلاع عليها :

فى الهند عشرون روبية لسنة واحدة　　فى الخارج جنيهان أو ما يعادلها بالبريد العادى

فى الخارج أربعة جنيهات بالبريد الجوى

فى أوربا و أمريكا و أفريقيا الشمالية و الجنوبية خمسة جنيهات بالبريد الجوى]

البعث الاسلامى

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : عشرون روبية - ثمن النسخة روبيتان

فى العالم العربى : جنيهان (استرلينى) (بالبريد العادى)

« « أربعة جنيهات (استرلينى) (بالبريد الجوى)

فى افريقيا الجنوبية والشمالية : خمسة جنيهات (استرلينى) (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف : ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

برقياً NADWA, Lucknow

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان

الوكالات

مكتبة المنار الكويت

- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- المكتب الاسلامى ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى الرياض المملكة العربية السعودية
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية
- يعقوب اسماعيل منشى المحترم

Yakub Ismail Munshi
1- Savile, Saviletown, Dewsbury, (Yorks), U. K.

- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن